
روايات مصرية للجيب
إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
73
مستشفى الرعب
RASHID
WWW.DVD4ARAB.COM
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ـ مهمة قاسية ..

غادر (ممدوح) وزميله السيارة التى توقفت أمام باب المخزن ، وقد شهر كل منهما مسدسه .

كان الباب مغلقًا من الخارج .. لكن (ممدوح) تمكن من فتحه بإحدى وسائله الخاصة ..

قال زميله فى قلق :

ـ أشعر بأن هناك فخًا فى انتظارنا بالداخل .

لكن (ممدوح) همس :

ـ علينا أن نكون متأهبين لكافة الاحتمالات .

ـ لكننا اثنان فقط .. ومن يدرى ؟.. ربما كان عددهم كبيرًا بالداخل ..

اعترض (ممدوح) قائلاً :

ماذا بك يا (مجدى) ؟ هل هذه هى المرة الأولى التى نتصدى فيها لعمليات من هذا النوع ؟

إن الفرصة سانحة أمامنا الآن ، للتأكد من صدق التحريات التى جمعناها ، بشأن حقيقة الشحنة التى يحتفظون بها فى هذا المخزن .. وإذا لم ننتهزها فقد يفلح (السنارى) وأعوانه فى نقلها بوسيلة ما إلى جهة أخرى .

قال الرائد (مجدى) :

ـ مازلت أرى أنه يتعين علينا الاتصال بالإدارة أولاً ، واستدعاء قوة من الأفراد لمساعدتنا فى هذه العملية .

ـ قد يستغرق ذلك وقتًا طويلاً .. ثم وجود عدد كبير من الأفراد سيلفت النظر .. وقد يؤدى إلى إفلات (السنارى) وأعوانه بطريقة ما .. وقد يشعلون النار فى المخزن قبل اقتحامه .

إننا مفوضان بتنفيذ هذه العملية .. وسنأخذ الأمر على عاتقنا ..

قال (مجدى) مترددًا :

ـ كما تريد .. فأنت الذى تتولى قيادة هذه العملية على أية حال .

أصدر (ممدوح) أوامره :

ـ كن متأهبًا .. سيتخذ كل منا اتجاهًا داخل المخزن . ولسوف أتولى الجانب الأيسر .. فى حين تتولى أنت الجانب الأيمن . ولا تبعد إصبعك عن زناد مسدسك .. هذا أمر !

واتخذ كل منهما لنفسه ركنًا بجوار الجدار الملاصق للباب .. ثم بدآ فى التسلل إلى المخزن .. وقد اتخذ (ممدوح) لنفسه الجانب الأيسر كما حدد من قبل .

كان الظلام دامسًا بالداخل .. وظلا حريصين على ألا يسمع وقع أقدام أحدهما خلال سيرهما .

وجد (ممدوح) نفسه بجوار بعض الصناديق الخشبية المتراصة .. فقام بنزع غطاء أحدها ، وتناول عددًا من الأكياس البلاستيكية من داخله ليتفحصها .

وفى حذر تذوق بعضًا من المحتويات .. ليكتشف أنها تحتوى على سكر !..

لكنه لم يكتف بذلك .. بل دس يده إلى قاع الصندوق حيث تناول كيسًا بلاستيكيًا آخر .. وقام بفتحه ليتذوق محتوياته .

وعندئذ همس لنفسه مستشعرًا النصر :

ـ كما توقعت .. إن أكياس السكر البلاستيكية فى أعلى الصندوق ، ليست سوى تغطية للبضاعة الحقيقية التى يتعاملون بها ، وهى (الهيروين) .

وتطلع إلى الصناديق العديدة الموضوعة داخل المخزن ، بعينيه المدربتين على الرؤية فى الظلام ، وهو يستطرد لنفسه :

ـ لو كانت كل هذه الصناديق تحتوى على نفس المادة المخدرة ، فإننا بذلك نكون قد وضعنا أيدينا على أكبر صفقة (هيروين) دخلت البلاد ..

لكن فرحته بانتصاره لهذا الاكتشاف ، الذى تحرى عنه طويلاً لم تدم .. إذ وجد فوهة مسدس تلتصق بظهره من الخلف ، وصوتًا يأمره بخشونة :

ـ ألق بسلاحك على الأرض .. وارفع يديك عاليًا ، وإلا ألهبت ظهرك بالرصاص !

وفى تلك اللحظة أضيئت أنوار المخزن فجأة ، ليجد (ممدوح) نفسه وقد أصبح هدفًا مكشوفًا .. رأى شخصين آخرين فى الطابق العلوى من المخزن ، وهما يصوبان سلاحيهما نحوه .. إنه محاصر تمامًا ....

ولم يجد بُدًّا من الاستسلام وإلقاء سلاحه .

لكنه كان استسلامًا مؤقتًا .. لأنهُ اعتاد مجابهة مثل هذه المواقف العصيبة فى مهامه السابقة .. ومنها تعلم أن الاستسلام سياسة وقتية لا أكثر ..

ودفعه الرجل أمامه ليبعده عن الصناديق المجاورة لجدار المخزن قائلاً :

ـ تقدم أيها الوغد !

سأله أحدهم من أعلى :

ـ من أنت ؟ وماذا جئت تفعل هنا ؟

قال (ممدوح) وهو يتصنع الخوف :

ـ فى الحقيقة لست سوى لص بسيط جئت أنشد شيئًا أسرقه من هذا المخزن .. لكن يبدو أن سوء الحظ جعلنى أقع بين أيدى ثلاثة خفراء مسلحين .

ضحك الرجل بأعلى صوته ضحكة مجلجلة وقال ساخرًا :

ـ ياله من ادعاء ساذج !.. أتظن اننا يمكن أن نقتنع بهذا الذى قلته ؟

لص حقير .. أم شرطى متهور ؟

وصمت برهة قبل أن يقول :

ـ على أية حال .. أيًا ما كنت .. فسوف تلقى مصرعك على الفور ..

وفى تلك اللحظة كان الرائد (مجدى) جاثيًا على ركبتيه ، مختفيًا وراء بعض الصناديق الخشبية ، دون أن يفطن أحد لوجوده .

وما لبث أن زحف على ركبتيه ليجعل (ممدوح) والشخص الذى يصوب المسدس إلى ظهره فى مجال رؤيته .

وفى اللحظة التى أشار فيها الواقف بأعلى إلى زميله لكى يطلق الرصاص على (ممدوح) .. كان (مجدى) قد بادر بإطلاق رصاصة من مسدسه ، أصابت الرجل .. فخر صريعًا قبل أن يضغط على الزناد .

وبسرعة البرق التقط (ممدوح) المسدس الذى سقط من الرجل ليصوب رصاصة محكمة ، أصابت الشخص الواقف بأعلى ، فهوى من مكانه ليسقط أرضًا .

وقبل أن يبدأ الآخر فى استخدام سلاحه ، كان

(ممدوح) قد وثب خلف الصناديق الخشبية ليتخذ منها ساترًا لحمايته .

لكن الرجل تحرك سريعًا .. ليثب فوق مجموعة من الصناديق الخشبية حاملاً مدفعه الآلى .

وكان (مجدى) قد تحرك فى اتجاه (ممدوح) الذى لمح الرجل المسلح وهو يقف وراءه تمامًا .. فهتف هذا الأخير بزميله منذرًا :

- (مجدى) .. احترس !!

ولكن تحذيره جاء متأخرًا .. إذ سرعان ما انطلقت رصاصات الرجل لتصيب (مجدى) وتقضى عليه فى الحال .. فهوى إلى الأرض غارقًا فى دمائه .. دون أن يجد الوقت حتى ليصرخ .

جاء وقع الصدمة قاسيًا على (ممدوح) الذى اندفع من مكانه ، غير مبال بما يتعين عليه أن يتخذه من حذر ، مصوبًا رصاصتين إلى جسد الرجل ، فهوى من فوق الصناديق الخشبية بلا حراك .

وظل (ممدوح) يضغط على زناد المسدس الذى فرغ من رصاصاته بلا وعى ..

ثم ما لبث أن أسقطه من يده ، وتهالك على الأرض بجوار الصناديق الخشبية ، يبكى صديقه الذى استشهد أمام عينيه .

احتاج إلى فترة من الوقت كى يتمالك نفسه ويستخدم جهازه اللاسلكى ، للاتصال بغرفة العمليات فى الإدارة ليحدد موقعه لزملائه ، ويخبرهم عن المواد المخدرة التى اكتشفها فى المخزن ، طالبًا حضور قوة من الأفراد لمحاصرته ، والقبض على صاحبه .. كما نعى إليهم خبر موت صديقه واستشهاده فى هذه العملية ، بينما الألم يمزق صدره ..

* * *

طرق (ممدوح) باب حجرة رئيس إدارة العمليات الخاصة ، قبل أن يدلف إلى الداخل .

كان اللواء (مراد) جالسًا أمام مكتبه يراجع أوراق الملف الخاص بالعملية الأخيرة .

فما إن رآه حتى دعاه للجلوس قائلاً :

- تفضل يا (ممدوح) .

ثم نحَى الأوراق التى أمامه جانبًا قائلاً :

- آسف بالنسبة لما حدث لـ (مجدى) .. لقد خسرناه جميعًا .. وأدعو الله أن يرحمه رحمة واسعة .. فقد مات بطلاً وأدى واجبه حتى الرمق الأخير .

لكن (ممدوح) ظل متجهمًا .. وبدا أن ما حدث

لصديقه قد ترك أثرًا سيئًا على نفسه .. ثمة شرخ فى جدار ثقته بنفسه ..

قال اللواء (مراد) محاولاً مواساته :

ـ أرجو أن تحاول التغلب على أحزانك سريعًا ..

قال (ممدوح) وهو ينهض من فوق مقعده ليواجهه :

ـ سيادة اللواء .. أرجو أن تقبل استقالتى !!

نظر إليه اللواء (مراد) بدهشة .. لم يصدق حتى اللحظة أن ما سمعه صحيح .. فسأله :

ـ ماذا تقول ؟!

تناول (ممدوح) ورقة من جيبه ليضعها على المكتب أمام اللواء (مراد) وغمغم :

ـ إننى أتقدم إليك باستقالتى من العمل فى الإدارة .. وها هى ذى الاستقالة .

قال له اللواء (مراد) باستنكار :

ـ (ممدوح) .. هل أنت واع لما تقوله ؟

ـ إننى فى تمام وعيى للأسف .. لم أعد قادرًا على العمل بعد الآن ..

قال اللواء (مراد) :

ـ ولكن لماذا ؟ ألأن أحد زملائك استشهد فى عملية

انتحارية فى أثناء أدائه لواجبه ؟.. وهل هذه هى المرة الأولى ؟.. كلنا تعرضنا ومعرضون لذلك .. إن الموت وارد دائمًا بالنسبة لمهنتنا ..

وكان يمكن أن يكون الشخص الذى فقدناه هو أنت .. فهل كنت تظن أن الرائد (مجدى) كان سيأتى إلىَّ ليقدم استقالته ؟! لو حدث هذا لما استمر أحد منا فى العمل بهذه الإدارة .

قال (ممدوح) والأسى يطل من عينيه :

ـ إننى لا أريد ترك العمل بسبب موت (مجدى) .. فقد شاركت فى عمليات كثيرة من قبل ، رأيت خلالها استشهاد عدد من زملائى وأصدقائى .. إن الموت ليس غريبًا علىَّ .. ولكن لأننى أحس بأننى مسئول بطريقة ما عن موته .

لقد كان من رأيه ألا نخاطر باقتحام المخزن قبل التأكد من وجود من يقوم على حراسته بالداخل من عدمه ....

كما كان يرى أنه يتعين علينا الاستعانة بقوة من أفراد الإدارة لمحاصرة المخزن من كل جوانبه ..

لكننى خالفته فى الرأى .. دفعته إلى مشاركتى فى اقتحام المخزن بمفردنا دون استكشافه ، اعتمادًا على عنصر المفاجأة ودون أن يتولى أحدنا تغطية الآخر .

وهكذا وجدت نفسى محاصرًا بثلاثة أشخاص مسلحين .. واندفعت إلى الشرك دون تروٍّ .. واضطر (مجدى) لأن يتدخل لإنقاذى ، فدفع حياته ثمنًا لذلك .

وازدادت ملامح الأسى فى عينيه وهو يقول :

ـ لقد أسهمت بطريقة ما فى موت (مجدى) ..

قال له اللواء (مراد) مواسيًا :

ـ إنك تحمل نفسك بأكثر مما يجب .. فما قمت به ليس أكثر من تقدير موقف يتعرض له كل من يتولى مسئولية القيادة .

ولا يمكنك أن تجزم بأنك لو أخذت برأى (مجدى) فإن هذا كان سينجيه من الموت .

ثم إن تدخله لحمايتك كان جزءًا من مشاركته لك فى هذه العملية ، فضلاً عن أن الواجب كان يقتضى منه ذلك .

وأنا واثق بأنك كنت ستفعل نفس الشىء لو كنت فى مكانه .

قال (ممدوح) دون أن يرفع رأسه نحو رئيسه :

ـ إننى أقدر محاولتك تخفيف وقع ما حدث على نفسى .. لكن صدقنى يا فندم لم أعد قادرًا على الاستمرار فى العمل بعد أداء هذه المهمة .

قال اللواء (مراد) :

ـ هراء !.. إننى لن أقبل هذه الاستقالة .. وكل

ما هنالك أنك متأثر بموت صديقك ، وتحمل نفسك مسئولية غير حقيقية بشأن موته .

ولا يمكن أن أقبل أن يكون هذا سببًا لاستبعادك من فريق العاملين بهذه الإدارة .. خاصة وأنك من أكفأ العاملين بها .

ـ لكن ...

قاطعه اللواء (مراد) قائلاً بلهجة حازمة وهو يقدم له طلب الاستقالة :

ـ لكنك مرهق الأعصاب بعض الشىء .. وفى حالة نفسية غير سليمة فى الآونة الحالية . هذا هو ما يمكننى قوله ..

لذا أريد منك أن تستبدل طلب الاستقالة بطلب إجازة للفترة التى تناسبك ، حتى تعود لمواصلة عملك مرة أخرى .. ولسوف أوافق عليها ..

تناول (ممدوح) طلب الإجازة مترددًا وهو يقول :

ـ لكنى لا أعرف متى يمكننى الاستعداد لمواصلة العمل مرة أخرى .

عقد اللواء (مراد) ذراعيه خلف ظهره وهو يقول بنفس اللهجة الحازمة :

ـ إذن فلتجعلها إجازة مفتوحة .

* * *

٢ - تجارب شيطانية ..

هبطت الطائرة فى مطار (قاقازيا)(*) بشمال أوربا ، حيث غادرها عدد قليل من المسافرين ، الذين لا يرحبون بالمجىء إلى هذه البقعة الباردة من العالم ، فى هذا الوقت من العام ، حيث تكثر الثلوج وتنخفض الحرارة إلى ما يزيد على أربع عشرة درجة تحت الصفر .

ومن بين المسافرين كان هناك شخص متوسط البنية ، يرتدى معطفًا من الفراء ، وقد بدا وجهه طويلاً شاحبًا ، وقد وضع على عينيه منظارًا طبيًا .. واختلطت الشعيرات البيضاء بالشعيرات السوداء فى شاربه الرفيع ولحيته الصغيرة .. فى حين اختفت رأسه تحت قبعة من الفراء من نفس نوع المعطف الذى يرتديه .

أما أكثر ما كان يميزه فهو عيناه الحادتان تحت عدسات منظاره الطبى .. عينان تتميزان بشىء من القسوة لا تخطئه العين ..

(*) ملحوظة : اسم الدولة والشخصيات الواردة فى هذه الرواية وكذلك أحداثها من وحى خيال المؤلف ، ولا صلة لها بالواقع ، وأى تشابه بينها وبين الواقع محض مصادفة .

اندفع شخصان نحو الرجل فى اللحظة التى وضع فيها قدميه على أرض المطار ، حيث بادره أحدهما بالكلام :

- دكتور (تاكد) .. إننا من مخابرات (قاقازيا) .. من فضلك تفضل معنا .

واصطحباه إلى أحد الأبواب الخاصة فى المطار ، حيث تم إنهاء إجراءات دخوله عاجلاً .. بعيدًا عن بقية المسافرين ..

ثم دعواه إلى ركوب سيارة سوداء فارهة كانت فى انتظارهم ، وقد أسدلت ستائرها لتنطلق بهم السيارة فى الحال .

بعد ساعة توقفت السيارة أمام مبنى ضخم محاط بعدد من الأسوار المعدنية ، التى استلزم مرور السيارة من خلالها عديدًا من الإجراءات الأمنية ..

وكان هذا المبنى هو مبنى المخابرات القاقازية .

اصطحب الرجلان الدكتور (تاكد) خلال ممر طويل حيث قاداه إلى إحدى الحجرات الفسيحة .

كانت الحجرة خالية تمامًا من الأثاث فيما عدا مقعدًا وثيرًا يتوسطها . ودعاه أحدهما للجلوس :

- تفضل .. أرجو أن تنتظر هنا .

وبدا الرجل متأففًا من كل الإجراءات الطويلة والمعقدة .. لكنه رضخ لما طلب منه .. وجلس على



تلفت الدكتور (تاكد) حوله ، وهو يتفحص جوانب الحجرة الخالية بحثًا عن مصدر الصوت ..

المقعد الوثير واضعًا ساقًا فوق أخرى ، فى حين وضع حقيبته بجوار المقعد .

وما لبث أن غادر الرجلان الحجرة بعد أن أغلقا أبوابها خلفهما ..

مرت عشرون دقيقة على الرجل وهو جالس فى مكانه .. ملامح القلق والضيق تزداد على وجهه .. وقد أخذ ينظر إلى ساعته بين الحين والآخر .

أخيرًا نهض من فوق مقعده متجهًا نحو باب الحجرة ليفتحه ، وقد أزمع مغادرتها ..

لكن صوتًا آمرًا أتاه :

ـ إلى أين تذهب يا دكتور (تاكد) ؟

تلفت الدكتور (تاكد) حوله ، وهو يتفحص جوانب الحجرة الخالية بحثًا عن مصدر الصوت ، دون أن يجد له أثرًا .. لا أحد ..

إذن هناك من يراه ويحادثه ، بوساطة ميكروفون مختف فى مكان ما داخل الحجرة .. فقال معبرًا عن ضيقه بصوت عالى النبرات :

ـ لقد انتظرت هنا أكثر من عشرين دقيقة ، دون أن يأتى أحد لمقابلتى ..

قال له مصدر الصوت :

ـ حتى لو انتظرت عشرين ساعة .. فإنك لم تكن

لتستطيع مغادرة هذه الحجرة دون أن نسمح لك بذلك !

إن الباب مغلق إلكترونيًا ويستحيل عليك فتحه .. ولا يوجد أمامك منفذ آخر لمغادرة المكان ..

قال الدكتور (تاكد) بغضب :

ـ هل أفهم من ذلك أننى سجين هنا ؟

وفى تلك اللحظة ارتفع الجدار المواجه إلى أعلى ، كاشفًا عن مائدة مستطيلة وقد جلس خلفها ثلاثة أشخاص يرتدون الثياب العسكرية ، وقد توسطهم رجل ضخم الجثة .. أصلع الرأس ، له حاجبان أسودان كثان .. وشفتان غليظتان ..

قال الرجل بصوت أجش موجهًا حديثه إلى الدكتور (تاكد) :

ـ لو أردنا أن نسجنك لفعلنا ذلك منذ فترة طويلة .. فأنت تعرف أنه لا يستعصى علينا شىء يا دكتور (تاكد) .

لكنى أردت أن أذكرك فقط ، بأننا ندير دفة الأمور بالنسبة لعملائنا دائمًا .. ولا نسمح لهم أن يخدعونا أو يتصرفوا من تلقاء أنفسهم ..

قال الدكتور (تاكد) وهو يعود إلى الجلوس على المقعد المواجه للمائدة :

ـ جنرال (جوجول) .. إننى لا أفهم معنى ما يدور هنا .. لماذا تعاملوننى على هذا النحو ؟!

قال الرجل الأصلع الرأس :

ـ لأنك بدأت تثير استياءنا يا دكتور (تاكد) .. لقد كلفتنا مبالغ باهظة من أجل مشروعك الفاشل هذا ، دون أن نحظى بنتائج مرضية من وراء ذلك .

قال الدكتور (تاكد) معترضًا :

ـ إن مشروعى لم يثبت فشله .. والمبالغ التى مولتم بها المستشفى ، لا تقارن بالنتائج التى ستأتى بها فى النهاية ..

تكلم الشخص الذى يجلس عن يمين الجنرال (جوجول) قائلًا :

ـ إن النتائج التى توصلت إليها حتى الآن لم تمنحنا أولئك (الرجال السوبر) الذين وعدتنا بهم .

قال دكتور (تاكد) :

ـ إننى ما زلت فى مرحلة التجارب الأولية ..

تحدث الشخص الجالس عن يسار الجنرال قائلًا بسخرية :

ـ تجارب أولية .. لقد مرت ثمانى سنوات كاملة على هذه التجارب يا دكتور (تاكد) .. وما زلت تدعوها بالأولية .

قال له الدكتور (تاكد) باستعلاء :

- هناك تجارب تستمر لأكثر من عشرين عامًا يا كولونيل .. إنها قوانين العلم الصارمة .

قال له الجنرال (جوجول) بحدة :

- لكننا غير مستعدين للاستمرار فى دفع المزيد من الأموال لأعوام قادمة .. ونرى أن تتوقف عند هذا الحد .. فالقيادة القاقازية ترى أن التجارب الخاصة بإعداد رجال خارقين لقوى الطبيعة ، كان أمرًا خياليًا منذ البداية .. وكان من العبث الموافقة عليه والاستمرار فيه .

- إننى مؤمن بأن التجارب التى أجريها ستؤتى بثمارها فى النهاية .. وأننى سأقدم لكم الرجال (السوبر) كما وعدت لخدمة المخابرات والقيادة القاقازية .. رجالا يتمتعون بقدرات عقلية وجسدية خارقة ، تجعلهم قادرين على تحقيق إنجازات خارقة أيضًا .

عندما أنتهىَ من تجاربى ، فسوف تجدون أمامكم أشخاصًا يساوى الفرد منهم مائة رجل مجتمعين .. وسوف يكون مبرمجًا ومعدًا لخدمتكم ، بما يساوى كتيبة عسكرية كاملة وفريقًا من العلماء .

بل يمكن فى هذه الحالة إعداد أشخاص متفوقين رياضيًا ، على نحو يجعل (قاقازيا) تكتسح أية دورة أوليمبية أو أية بطولات عالمية تخوضها بهم .

تحدث الشخص الجالس عن يسار الجنرال :

- كل ذلك سمعناه منك من قبل .. ولم نحصل منك إلا على الوعود .. الوعود فقط .. ولكن عمَ أسفرت تجاربك ؟ مجموعة من الأشخاص المشوهين الذين أتلفت عقولهم وأجسادهم .. واضطررنا إلى أن نقضى عليهم فى النهاية حتى لا تنكشف الحقيقة وراء تجاربك السرية .

لقد كلفتنا هذه التجارب ثلاثين نوعًا من الحيوانات ، وأربعين قاقازيًا .. ومثلهم من الأجانب ، دون أن نحصل على هؤلاء الأشخاص (السوبر) كما تدعى .. والأهم من ذلك ملايين الدولارات التى تحملتها المخابرات القاقازية والخزانة العامة ، سعيًا وراء الحصول على نتائج حقيقية بلا جدوى .

الدكتور (تاكد) :

- إننى لم أعد بحاجة إلى مبالغ كبيرة من المخابرات القاقازية ، فالمستشفى الذى أديره الآن ، يتوافد عليه شخصيات كبيرة من رجال المال والأعمال والسياسة للعلاج .. وهم يدفعون مبالغ فى مقابل علاجهم ، تساوى ثلاثة أرباع الأموال المخصصة للإنفاق على المشروع .

تحدث الرجل الجالس عن يمين الجنرال قائلا :

ـ إننا لم نعد ملزمين بدفع أية أموال أخرى .

صاح الدكتور (تاكد) بضيق :

ـ حسن .. لا تدفعوا شيئًا .. ولكن لا تزعجونى أكثر من ذلك .. ودعونى أستمر فى إجراء أبحاثى وتجاربى ، دون ملاحقتى على هذا النحو من آن لآخر .

قال الجنرال (جوجول) :

ـ وهذا ما أردت أن أتحدث بشأنه منذ البداية .. لقد لاحظنا أنك تحاول أن تنفصل عنا فى الآونة الأخيرة .

فلم تعد مهتمًا بإرسال تقارير شهرية عن أبحاثك وتجاربك .. وكل اتصالك بنا .. فيما عدا الاتصال الخاص بدفع الأموال المخصصة سنويًا لصالح تجارب مشروع الرجال الخارقين .

إن هذا مؤشر غير طيب يا عزيزى (تاكد) ، ويثير قلقنا بالتأكيد .

قال الدكتور (تاكد) :

ـ لقد أصبحتم تستخفون بأبحاثى وتجاربى ، وتلاحقوننى بالاتهامات فى كل مرة أتصل فيها بكم .. وهذا ما جعلنى أتباعد عنكم فى الآونة الأخيرة .. هذا طبيعى ..

إننى مصمم على الاستمرار فى أبحاثى وتجاربى .. ولا أريد أية تدخلات تحول دون ذلك .

ضرب (جوجول) بيده على المائدة بقوة قائلاً :

ـ لكنك مواطن قاقازى فى المقام الأول .. ولم تكن لتصل إلى ما وصلت إليه دون الاعتماد على مساعدتنا .

إنك طبيب بارع ما فى ذلك من شك يا دكتور (تاكد) ، فأنت متخصص فى علاج الأمراض المستعصية.. وقد حققت نجاحًا باهرًا فى هذا الشأن .. بل كنت أنا شخصيًا أحد المستفيدين منه .. لذا فقد ساندتك لدى المسئولين ، عندما اقترحت عليهم مشروع (الرجال السوبر) .. ومحاولتك استخدام مهارتك الطبية والكيمائية ، وما توصلت إليه من نتائج فى بحوث الهندسة الوراثية .. أجريت التجارب على مرضاك من أجل تحويلهم إلى رجال خارقين ، يمكن فى النهاية برمجتهم والاستفادة منهم للعمل لصالحنا ، وتحقيق أهداف خاصة ، تحتاج إلى هذه النوعية من الأشخاص .

وعندما أردت إقامة مستشفى ومصحة علاجية تكون ستارًا لتنفيذ أبحاثك وتجاربك ، متخذًا من شهرتك كطبيب مختصّ فى علاج الأمراض المستعصية ، وسيلة جذب لإخضاع هؤلاء المرضى ، وافقنا على إقامة هذه المصحة والمستشفى ومعمل الأبحاث السرية ، بتمويل خاص من المخابرات القاقازية .

وعندما اقترحت إقامتها فى (رومانيا) بعيدًا عن (قاقازيا) ، زعمت أن ذلك يتيح لك ممارسة أبحاثك

وتجاربك بعيدًا عن الضغوط الحكومية ، ودون تحميل (فاقازيا) أية مسئولية إزاء التجارب غير الإنسانية التى تجريها فى هذا الشأن ، لو انكشفت حقيقة الأمر .. لم نمانع وأقمنا لك المصحة فى بقعة منعزلة فى (رومانيا) ، ووفرنا لك كل أسباب الاستقرار والرفاهية والسرية التى تنشدها ، من أجل الاستمرار فى أبحاثك .

وكنا نأمل من وراء ذلك أن نحصل على نتائج جادة وحقيقية ، وأن تكون أكثر إخلاصًا وتقديرًا لرؤسائك الحقيقيين .

فهل تأتى اليوم وتقول إنك تستطيع أن تكون مستقلاً بذاتك .. وتدير المصحة التى أقمناها بأموالنا لحسابك الخاص ؟

هل تريد اليوم ـ بعد ما وصلت إليه ، وبعد أن وفرنا لك مستشفى ومصحة باسمك ـ أن تعلن انفصالك عنا ؟

تراجع الدكتور (تاكد) قائلاً :

ـ أنا لم أقل هذا .. كل ما قلته هو أننى أريد أن أعمل بلا ضغوط .

صاح (جوجول) :

ـ مادمت تمتلك هذا المستشفى بأموالنا ، فأنت تعمل لحسابنا ..

إننا لن نتركها لك هدية فى النهاية مقابل بضع تجارب فاشلة ، إذا ما كنت عاجزًا عن النجاح فى تجاربك ، فلسوف نسترد هذه المصحة العلاجية بكل ما فيها ، ونتولى بيعها لأية جهة أخرى .

أما أنت ، فسوف تعود إلى (فاقازيا) للنظر فى أمرك ، بعدما كبدتنا إياه من خسائر مالية .. ولسوف تكون سعيد الحظ ، لو أعدناك للعمل فى مستشفى (فاقازيا) الحكومى .

ربما شفعت لك شهرتك كطبيب بارع فى الأمراض المستعصية ، ومساعدتك السابقة لى فى إعفائك من عقوبة قاسية يتعين أن ينالها مثلك .

ـ ولكنى آمل أن أمنح فرصة أخيرة لأؤكد لكم نجاحى .

تشاور (جوجول) مع زميليه لبضع دقائق فى حديث هامس .. ثم تحول إليه قائلاً :

ـ أمامك ثلاثة شهور .. ثلاثة شهور فقط يا دكتور (تاكد) .. إما أن تقدم لنا فى نهايتها نتائج فعالة وملموسة ، بشأن هؤلاء الرجال الخارقين .. أو أن تعيد لنا المصحة العلاجية ، وتعود فورًا إلى (فاقازيا) .

قال (تاكد) محتجًا :

ـ ولكن ثلاثة شهور ..

لكن (جوجول) قاطعه بلهجة صارمة :

ـ ثلاثة شهور من اليوم .. لن نزيد عليها يومًا واحدًا .. لن يكون لك بعدها خيار آخر عدا الخيارين اللذين قدمتهما لك .. إما أن نحصل على هؤلاء الرجال الخارقين ، أو تقدم لنا ما يثبت أنك قادر على تقديم ما وعدتنا به .

وإما أن نسترد المستشفى والمصحة ، وتعود إلى الوطن بصورة نهائية .. وإذا لم تستسلم لأى من هذين الخيارين ، فسوف أصدر أوامرى بالقضاء عليك فى الحال .. ولن تجد منى مساندة بعد اليوم .

وأنت تعرف جيدًا .. أن (جوجول) حين ينقلب على شخص ما فإن هذا الشخص ميت لامحالة ..

حاول الدكتور (تاكد) أن يتكلم .. لكن (جوجول) قال له بنفس النبرة الصارمة :

ـ والآن يمكنك أن تنصرف يا دكتور (تاكد) لتعود إلى مستشفاك .

وما لبث أن انفتح باب الحجرة إلكترونيًا خلفه ، فى حين عاد الجدار لينزلق من أعلى فى مواجهته ، ليختفى وراءه (جوجول) وأعوانه .

ولم يجد (تاكد) بدًّا من الانصراف وهو لا يخفى ضيقه وتبرمه من هذه الأوامر الصارمة .

إن ثلاثة شهور لوقت ضيق حقًا ...

* * *

٣ ـ المتمرد ..

استقرت الطائرة المروحية فوق المساحة الدائرية المخصصة لها فى الأرض الفضاء ، داخل مصحة الدكتور (تاكد) العلاجية .

وسارع أحدهم لاستقباله مرحّبًا .. ثم اصطحبه إلى السيارة الصغيرة المخصصة للتنقلات داخل المصحة .. قائلاً :

ـ كيف كانت رحلتك إلى (قاقازيا) ؟

قال (تاكد) وعلى وجهه ملامح التجهم :

ـ سيئة للغاية .. إن هؤلاء العسكريين فى (قاقازيا) لا يفهمون شيئًا عن طبيعة أبحاثى وتجاربى ، ويظنون أنهم يستطيعون أن يتدخلوا فى عملى وقتما يشاءون .

سأله رفيقه :

ـ هل طلبوا منك التوقف عن متابعة أبحاثك وتجاربك بشأن الرجال الخارقين ؟

أجابه (تاكد) :

ـ لقد منحونى مهلة ثلاثة أشهر ، إما أن أصل خلالها إلى نتائج حاسمة ، أو أسلمهم المصحة والمستشفى وأعود إلى (قاقازيا) .

قال الرجل محتجًا :

ـ لكن هذه المصحة والمستشفى أصبحا ملكًا لك .. إن كل من يأتى إلى هنا ، يأتى للعلاج لدى دكتور (تاكد) ، ولا شأن لتجاربك السرية بملكيتك للمصحة .

قال (تاكد) والغضب يطل من عينيه :

ـ إنهم يريدون الاستيلاء على كل شىء .. يظنون أنهم يستطيعون تسخيرى لأهدافهم ، ثم الإطاحة بى وبكل ما كرست حياتى وعلمى من أجله وقتما شاءوا .

سأله الرجل :

ـ وماذا ستفعل ؟

أجابه (تاكد) وفى عينيه نظرة تصميم :

ـ ستنتهى صلتى بهم اعتبارا من اليوم .. لن أسمح لهم بالتدخل فى شئونى بعد ذلك ، وستكون المستشفى والمصحة والأبحاث والنتائج التى سأصل إليها ، ملكا خالصًا لى وليس للمخابرات القاقازية .

قال الرجل بدهشة :

ـ لكن هذا أمر خطير للغاية !

قال (تاكد) دون أن يتخلى عن تصميمه :

ـ إننى لم أعد بحاجة إلى مساعدتهم المالية .. فالأموال التى أحصل عليها ، مقابل علاج الأشخاص الذين يأتون إلى هذه المصحة ، تكفى لتمويل أبحاثى وتجاربى .

قال الرجل :

ـ إننى لا أقصد المساعدة المالية .. لكنى أعنى بذلك (جوجول) وأعوانه .. إن المسئولين فى (قاقازيا) لن يسمحوا لك بالانفصال عنهم بهذه السهولة .

قال (تاكد) :

ـ ماذا سيفعلون ؟ لقد طلبت أن تكون هذه المصحة فى (رومانيا) خصيصًا ، لكى أكون بعيدًا عن منطقة نفوذهم .. والانفصال عنهم فى الوقت المناسب بعيدًا عن تدخلاتهم .

وإذا كانوا هم قد قدموا لى المال .. فقد قدمت لهم عصارة جهدى وعلمى لسنوات عديدة ودون مقابل .

لقد رفضت عروضًا من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وألمانيا ، فى الوقت الذى لم أكن أحصل فيه إلا على راتب شهرى ضئيل ، مقابل العمل فى مستشفاهم الحكومى ، برغم شهرتى الدولية .. ولولا الأبحاث التى قدمتها بشأن مشروع (الرجال السوبر) ، لما أمكننى أن أحصل منهم على هذه الرعاية والتمويل ، وأن أفرض شروطى وأغادر هذه البلاد اللعينة .

لقد آن الأوان يا (جاك) لكى أخرج من قبضتهم .

قال (جاك) :

ـ لكنك تنسى مدى قوة ونفوذ جهاز المخابرات القاقازية .. إنهم لن يسمحوا لك أن تفلت من قبضتهم دون أن يسعوا إلى تدميرك . ولديهم من يعرفون كيف يفعلون ذلك ...

ـ أعرف أنهم سيخوضون حربًا ضدى .. هذا محتوم .. ولكنى مستعد لمواجهة هذه الحرب .. فلا تنس أننى قد أصبحت الآن أمتلك ثلاثين رجلاً محترفًا ومدربًا من رجال العصابات .. وهم مسلحون على أعلى مستوى ويأتمرون بأمرى .. وأنت على رأسهم .

قال (جاك) فى جدية :

ـ إذا أردت أن تبدأ مواجهة حقيقية مع رجال المخابرات القاقازية ، فعليك أن تتخلص من بعض أعوانهم الذين يقيمون هنا .

(تاكد) :

ـ لقد قررت التخلص منهم بالفعل .. وستتولى أنت ورجالك أمر ذلك ..

ـ إذن فأنت جاد فى ذلك .

ـ بالفعل .. أريد إبعاد هؤلاء الأوغاد عنى نهائيًا .. هم أو سواهم والتفرغ لأبحاثى وتجاربى هنا .

كانا قد غادرا السيارة الصغيرة ، واجتازا ردهة المستشفى الداخلية ، حينما راجعه (جاك) قائلاً :

ـ تذكر أن هذا الأمر محفوف بالمخاطر .

التفت إليه (تاكد) فى غضب :

ـ هل أنت خائف من المخاطرة ؟ لقد استأجرتك أنت وأمثالك من أجل أن توفروا لى الحماية اللازمة وقت أن أحتاج إليها .. وأنا أدفع لكم رواتب عالية من أجل ذلك .

قال (جاك) مستدركًا :

ـ إننا طوع بنانك بالطبع يا دكتور (تاكد) .. ولن نسمح أنا ورجالى لأحد أن يقترب منك أو يمسّك بشىء .. كل ماهنالك أننى أحببت أن أسترعى نظرك إلى ما أنت مقدم عليه .

ـ حسن .. يكفينى هذا .. والآن عليك أن تتولى أمر إبعاد هذين العميلين القاقازيين من مستشفاى ، وأن تعد رجالك لما يمكن أن يحدث فى المستقبل من مواجهة .

هزّ (جاك) رأسه قائلاً :

ـ أمرك يا دكتور (تاكد) .

وفى تلك اللحظة اقتربت إحدى السيدات من الدكتور (تاكد) قائلة :

ـ مرحبًا بعودتك يا دكتور (تاكد) .

سألها (تاكد) وهو يتقدم صوب حجرته :

ـ هل هناك طلبات جديدة بشأن مرضى جدد ؟

أجابته قائلة وهى تراجع أوراق دوسيه تحمله فى يدها :

ـ نعم يوجد طلب من مريض فنلندى مصاب بالسرطان، يرغب فى العلاج بالمستشفى ، وإجراء جراحة عاجلة .. ومستعد لتحمل كافة المصاريف الخاصة بذلك .

ولدينا طلب آخر من رجل أعمال أسبانى ، أجرى عملية دقيقة فى القلب ، ويرغب فى الاستشفاء بالمصحة لمدة ثلاثة أسابيع .

وكانت إحدى الممرضات قد لحقت به فى حجرته لحظة دخوله ، حيث ساعدته على ارتداء المعطف الأبيض ووقفت بدورها فى انتظار أوامره .

نظر (تاكد) إلى محدثته وهو يجلس على مكتبه وقال :

ـ حسن يا (سولين) .. أرسلى لى الأوراق الخاصة بهذين المريضين ؛ لأدرسها قبل أن أقرر حضورهما إلى المستشفى والمصحة .. بالطبع أريد التقارير الطبية الخاصة بهما ، مع الطلب المقدم من كليهما .

ـ لقد أعددت لك كل الأوراق المطلوبة بشأنهما فى دوسيه منفرد .

تساءل د. (تاكد) :

ـ حسن .. هل هناك شىء آخر ؟

قالت (سولين) :

ـ كلا .. كانت لدينا بالطبع عدة طلبات أخرى ، ولكننى رفضت الموافقة عليها لعدم تناسبها مع الشروط الخاصة بنا .

ـ ماذا عن أحوال المستشفى ؟

ـ إنها تسير على خير ما يرام يا دكتور .

رفع (تاكد) عينيه نحو الممرضة .. وسأل :

ـ هل هناك أى جديد بشأن حالة المريض فى الغرفة رقم (٨) ؟..

أجابته الممرضة :

ـ إن حالته تتدهور يومًا بعد آخر ، برغم محاولات الأطباء هنا .

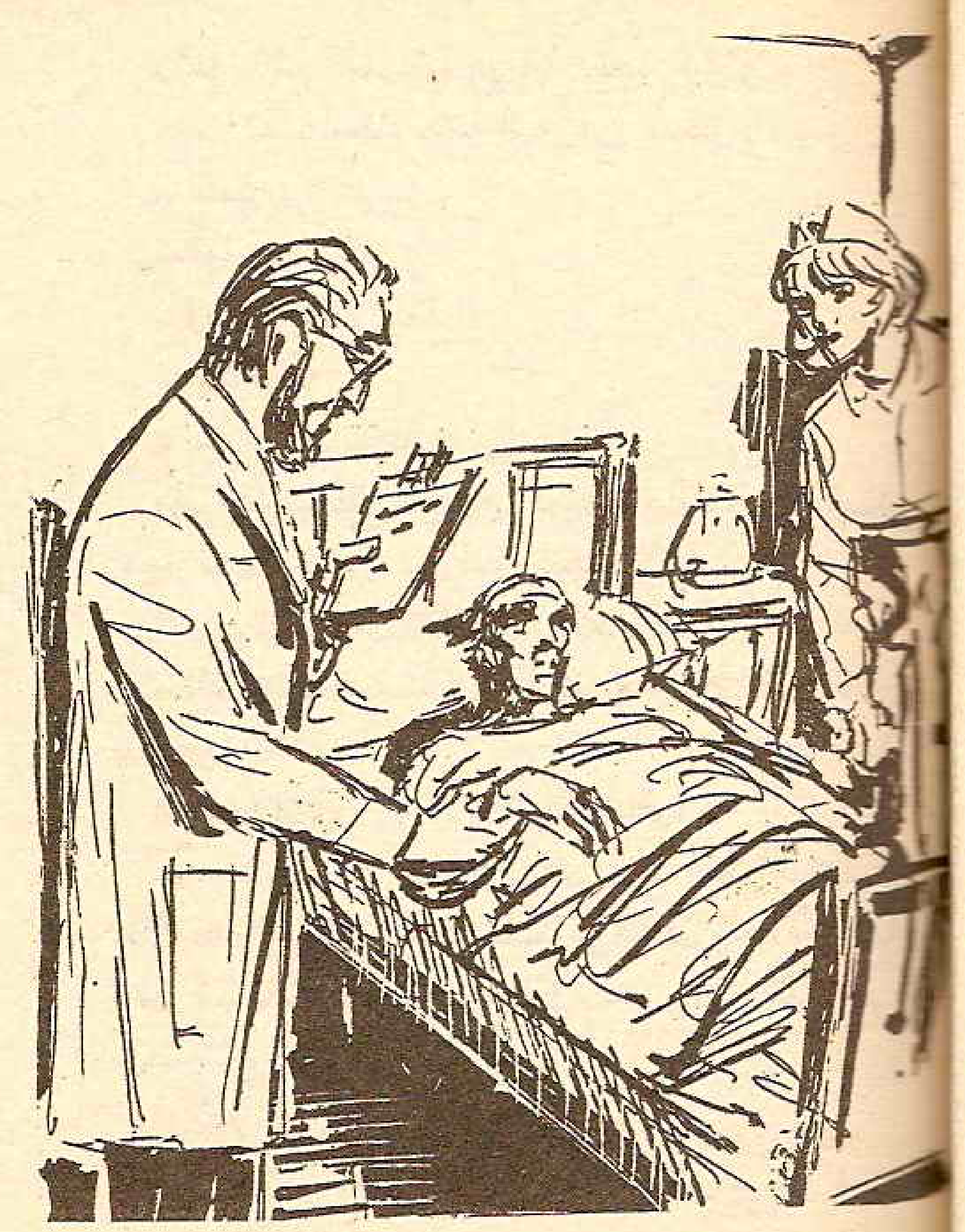
صمت (تاكد) برهة قبل أن يقول :

ـ أعتقد أنه يتعين علىّ مراجعة حالته بنفسى .

ثم أردف قائلاً للممرضة :

ـ يمكنك أن تنصرفى الآن يا آنسة (لوسى) .

وانصرفت الممرضة ، فى حين غادر الدكتور (تاكد) مقعده ليقترب من (سولين) قائلاً :



تناول الدكتور (تاكد) التقرير الطبى الخاص بالمريض ، وأخذ يقرأ بياناته بعناية ، ثم تناول معصمه ليفحص نبضه ..

ـ أعتقد أنه لا أمل من شفاء ذلك الرجل .

قالت (سولين) :

ـ إن الدكتور (على) يرى عكس ذلك .. ولديه رأى مخالف لبقية الأطباء الآخرين بشأن حالة هذا المريض .

قال لها بضيق :

ـ لقد بدأ هذا الطبيب يصبح مزعجًا بكثرة معارضته وتساؤلاته .. من يظن نفسه هذا الطبيب المغربى ؟

لو استمر على هذه الحال ، فسوف أضطر إلى استبعاده من فريق الأطباء العاملين بالمستشفى .

والآن دعينا نمر على المرضى ، ولنبدأ بمريض الحجرة رقم (٨) .. أريد أن أفحصه مرة أخرى ، قبل أن أدلى برأى .

* * *

دخل (تاكد) إلى الحجرة رقم (٨) ، حيث وجد المريض ممددًا على الفراش غائبًا عن الوعى ، وقد اكتسى وجهه بشحوب شديد وزرقة حول العينين .

تناول الدكتور (تاكد) التقرير الطبى الخاص بالمريض ، وأخذ يقرأ بياناته بعناية ، ثم تناول معصمه ليفحص نبضه .. وقام بالضغط على أجزاء معينة من بشرته ثم فتح عينيه بأنامله ..

وتحول إلى الممرضة الواقفة بالحجرة قائلاً :

ـ من الذى أعطاه حقنة المورفين المخدرة ؟

ـ الدكتور (على) .

سألها :

ـ ومتى أعطاه إياها ؟

أجابته قائلة :

ـ منذ نصف ساعة تقريبًا .

وفى تلك اللحظة فتح باب الحجرة ، ليدخل منه شاب أسمر نحيف البنيان ، يرتدى المعطف الطبى .

اقترب الشاب من الدكتور (تاكد) قائلاً :

ـ لقد سمعت أنك هنا ، فجئت لمقابلتك على الفور يا دكتور (تاكد) .

قال له الدكتور (تاكد) بنبرة هادئة :

ـ حسنًا فعلت يا دكتور (على) .. فأنا أعتقد أن حالة هذا المريض ، كانت تستدعى بالفعل إعطاءه حقنة مخدرة .. بعد المرحلة المتدهورة التى وصل إليها فى مرضه .

ثم نظر إلى المريض قائلاً :

ـ مسكين .. أعتقد أنه عانى من آلام مبرحة خلال اليومين الماضيين .

قال الدكتور (على) بجدية :

ـ هذا ما أردت أن أحادثك بشأنه يا دكتور (تاكد) .

مشى الدكتور (تاكد) مغادرًا الحجرة وبرفقته الطبيب المغربى .

ـ ما الذى تريد محادثتى بشأنه يا دكتور (على) ؟

قال الدكتور (على) :

ـ إننى مندهش للحالة المتدهورة التى وصل إليها المريض فى الآونة الأخيرة ، برغم أن كل المؤشرات كانت تنبئ بتحسن حالته .

ـ أنت تعرف أن الأورام السرطانية خادعة يا دكتور (على) .. فقد تبدو وكأنها فى حالة استسلام وخمول أو حتى تراجع .. ثم لا تلبث أن تهاجم جسم المريض فى مناطق أخرى .. وعلى نحو أكثر شراسة وخطورة .

قال الدكتور (على) :

ـ وهذا هو ما يدهشنى ، لقد أجريت تحليلات على بعض عينات من هذه الأورام ، التى لاحظناها فى جسده ، حينما جاء إلى المستشفى فى البداية ، وتبين لى أن هذه الأورام حميدة ، وليست سرطانية كما ظهر فيما بعد ..

التفت إليه الدكتور (تاكد) يحدجه بنظرة فاحصة وقال :

ـ ومن الذى أمرك بإجراء هذا التحليلات ؟

أجاب الدكتور (على) :

- لقد أخذت هذا الأمر على عاتقى ، وأجريت هذه التحليلات بوسائلى الخاصة ، قبل أن تبدأ التحليلات الخاصة بالمستشفى .

نظر إليه (تاكد) بغضب :

- هل أصبحت تعمل لحساب نفسك يا دكتور (على) ؟

قال له الطبيب الشاب فى هدوء :

- أنا أعترف بأننى تجاوزت نظام العمل بالمستشفى .. لكنى أردت التأكد من شىء كان يشغل تفكرى ..

الدكتور (تاكد) :

- وما هو هذا الشىء ؟

- إن حالة هذا المريض تتشابه مع حالة مريض آخر ، سبق له دخول المستشفى ، وهو الأستاذ (فاخر) زعيم المعارضة المصرى .. والذى جاء إلى المستشفى منذ شهر للاشتباه فى وجود ورم سرطانى ..

لقد كانت صور الأشعات والتحاليل متضاربة بشأن وجود خلايا سرطانية ، وعندما أجرينا التحليلات المطلوبة بوساطة أجهزة المستشفى المتقدمة لم أتمكن من الحصول على صور منها إلا بعد ثلاثة أيام من إجرائها ، برغم أننى كنت ضمن الفريق المعالج .

وعندما استلمت صورًا من هذه التحاليل كانت متناقضة

تمامًا مع ما أتى به المريض من أشعات وتحاليل سابقة .. وكانت الخلايا السرطانية منتشرة فيها بشكل غير عادى .. وتختلف تمامًا عن الحالة التى كان عليها المريض . لقد ظننت أن هذه التحاليل وصور الأشعات لمريض آخر .

قال الدكتور (تاكد) فى حنق :

- هل أفهم من هذا أنك تشكك فى معامل التحاليل والأجهزة المتقدمة التى نعمل بها فى المستشفى ؟ أم فى القائمين على العمل بها ؟

قال الطبيب الشاب وعلامات الحيرة على وجهه :

- كلا .. إننى أحاول فقط البحث عن تفسير لهذا الأمر .. خاصة وأننى فوجئت بأن هذا المريض قد غادر المستشفى ، قبل أن نبدأ معه العلاج .. وبدون مبرر واضح .

- إننا لا نرغم مرضانا على البقاء ، طالما لايرغبون فى ذلك ، فضلا عن أن حالة المريض كانت ميئوسًا منها على نحو لا يجعل هناك جدوى من بقائه .

- هل قطع كل هذه الرحلة الطويلة ، من أجل إجراء بعض الفحوص والتحليلات هنا فقط ؟

قال الدكتور (تاكد) :

- هذا ليس من شأننا مادام قد أدى ما عليه من التزامات مادية .

- لقد علمت أنه لم يعد إلى وطنه بعد .
قال (تاكد) وقد بدأ صبره ينفد :
- هذا أيضًا ليس من شأنك .
- وماذا عن مريض الحجرة رقم (٨) ؟.. إن الأعراض التى ظهرت عليه ..
قاطعه الدكتور (تاكد) بخشونة :
- دكتور (على) .. لقد بدأت تكثر من الأسئلة ، وتتدخل كثيرًا فيما لا يعنيك .. وإذا استمررت على هذا ، فمن الأفضل أن تغادر هذا المستشفى ، وتبحث عن عملٍ فى مكان آخر ..
ودون كلمة أخرى غادر المكان ..

* * *



٤ - سباق مع الزمن ..

سأل الدكتور (على) عن مريض الحجرة رقم (٨) ، فأخبرته الممرضة أنه قد توفى .
قال لها بدهشة :
- تُوفى ... متى ؟.
- ليلة أمس .
قال بضيق :
- ولماذا لم يخبرنى أحد ؟
- كنت نائمًا يا دكتور .
صاح الدكتور (على) بغضب :
- لكننى الطبيب المختّص بحالته ، وكان يجب أن يوقظنى أحد .. أين الدكتور (تاكد) ؟.
قالت الممرضة :
- إنه فى حجرته .. وقد طلب ألا يزعجه أحد .
قال مستمرًا فى نوبة غضبه مندفعًا نحو باب الحجرة :
- لكن يجب أن أراه الآن .
حاولت الممرضة أن تمنعه :
- دكتور (على) .. أرجوك !.. لقد أخبرنى بألا أسمح لأحد بالدخول عليه .

أمسك الدكتور (على) بمقبض الباب وحاول إدارته دون جدوى ..

التفت إليها قائلاً :

ـ يبدو أنه لا فائدة .. لقد أغلق الباب عليه ، ويرفض أن يجيب ندائى .

قالت الممرضة وهى تنظر إلى الباب المغلق بتوتر :

ـ لكن هذا أمر يدعو إلى القلق .

قال وقد هدأت ثائرته قليلاً :

ـ ربما كان لا يرغب فى مقابلة أحد الآن .

وربما يكون قد تعرض لمكروه . سألها :

ـ هل معك مفتاح آخر للحجرة ؟

ـ نعم .

ـ حسن .. دعينا نفتح الباب لنرى ما حدث .

لكن فى هذه اللحظة ، وقبل أن ينفتح الباب ، جاءت تلك المرأة التى استقبلت د.(تاكد) عند وصوله ، وفى غلظة قالت :

(روزا) .. ماذا تفعلين ؟.

قالت الممرضة مضطربة :

ـ السيدة (سولين).. لقد انتابنا القلق بشأن الدكتور (تاكد) .. فأردت الاطمئنان على سلامته .

تقدمت نحوها لتنزع المفتاح من يدها قائلة :

ـ إنك جديدة هنا ، ولا تعرفين شيئاً عن عادات وطباع الدكتور (تاكد) ، فهو يحب أن يخلو لنفسه فى حجرته أحياناً ، ولا يطيق أن يقتحم أحد عليه خلوته مهما كانت الأسباب .. هيا انصرفى ودعى لى هذا المفتاح .

أطاعتها الفتاة فى الحال .

بينما تحولت (سولين) إلى الدكتور (على) قائلة :

ـ هل من خدمة يمكن أن أقدمها لك يا دكتور (على) ؟

أجابها قائلاً :

ـ أعتقد أننى سآتى فى وقت آخر لمحادثة الدكتور (تاكد) .

وفى تلك اللحظة فتح باب الحجرة ، ليظهر الدكتور (تاكد) ويقول :

ـ ما الذى تريد محادثتى بشأنه يا دكتور (على) ؟

تطلع إليه (على) وقد أثار ظهوره المفاجئ ، وسؤاله له على هذا النحو اضطرابه .. ثم قال وقد استجمع أعصابه :

ـ لماذا لم يطلعنى أحد على خبر وفاة مريض الحجرة رقم (٨) ؟

- لم يكن هناك ما يدعو إلى إطلاعك على هذا .. خاصة بعد أن عالجت الأمر بنفسى ، فلا تنس أننى المسئول هنا ، ولست أنت .

قال الدكتور (على) :

- وماذا فعلتم بشأن الجثة ؟

قال الدكتور (تاكد) :

- سيأتى أهله لاستلام جثته اليوم .

ومرت برهة من الصمت قبل أن يقول :

- هل لديك استفسار آخر ؟.

وانصرف الدكتور (على) دون أن يجيبه ، فى حين تابعه دكتور (تاكد) بنظرات غاضبة .

ثم تحول إلى (سولين) بعد انصرافه قائلاً :

- لم يعد هناك ما يدعونا إلى الإبقاء على هذا الرجل بعد الآن .

سألته (سولين) :

- هل تنوى إبعاده عن المستشفى ؟

- نعم .. يتعين علىَ إبعاده خلال الأيام القادمة .

فى تلك اللحظة كان الدكتور (على) قد دخل إلى غرفة التبريد الخاصة بالمستشفى ، ليلتقى بالمسئول هناك ليسأله :

- أريد أن أطلع على جثة مريض الحجرة رقم (٨) .

قاده الرجل عبر الخزانات المعدنية ، التى يحتفظون فيها بالموتى .. وجذب إحداها وبداخلها جثة مريض الحجرة رقم (٨) .

تأمل الدكتور (على) البقع الزرقاء على بشرة المتوفى .. ثم التفت إلى رفيقه قائلاً :

- هل تسمح لى بالبقاء لفحص الجثة قليلاً ؟.. فهذا سيفيدنى فى علاج حالات مماثلة ..

سأله الرجل :

- هل لديك إذن من الدكتور (تاكد) بذلك ؟

- بالطبع .. إنه هو الذى أرسلنى إلى هنا .. وطلب منى القيام بهذا العمل .

قال الرجل وهو يتأهب للانصراف :

- حسن .. فى هذه الحالة خذ ما تحتاج إليه من وقت ..

ثم انصرف تاركا إياه مع الجثة .. وأخرج أدوات التشريح التى أحضرها معه وغمغم :

- أعتقد أن هذه الجثة لن تُسلَم لأى شخص ، سواء من أسرته .. أو من غير أسرته .. ويتعين علىَ أن أتوصل إلى الحقيقة عن طريق تشريحها .

وبعد نصف ساعة كان قد انتهى من عمله ، وهو يتصبب عرقًا ونظرات الذهول فى عينيه .

ثم أخذ يردد :

ـ شىء مريع .. إن هذا الرجل قد حقن بمواد كيمائية خطرة ، أدت إلى إصابته بخلايا سرطانية قاتلة ، هى التى أودت بحياته على هذا النحو .

واستطرد قائلاً وعلامات الرعب فى عينيه :

ـ ما الذى يحدث هنا ؟

لقد ارتبت فيما يحدث منذ البداية .. وأعتقد أن الدكتور (تاكد) مسئول عما يدور فى هذا المكان .

وتمكن الطبيب الشاب من السيطرة على نفسه برغم انفعالاته الشديدة ، ليعيد الجثة إلى كيسها البلاستيكى ، بعد إخفاء آثار التشريح الذى أجراه .

ثم أعادها داخل الثلاجة .. وقد عقد العزم على تحرّى الأمر ..

راقب الدكتور (على) الشخصين اللذين جاءا لحمل الجثة ونقلها بالسيارة الخاصة بالمستشفى .. وقد صمم على تتبعهما .

وفى أحد المبانى التابعة للمصحة الملحقة بالمستشفى ـ والتى كانت مغلقة بدعوى تجهيزها لتكون صالة تدريبات رياضية فى المستقبل ـ عبرت السيارة باب المبنى الذى انفتح أمامها بجهاز التحكم عن بعد

(الريموت كنترول) ، ثم مالبثت أن اختفت وراءه .

اقترب الدكتور (على) من المبنى وقد أخذ يتفحص جدرانه بحثًا عن وسيلة للدخول دون جدوى .

لكن مالبث أن فتح الباب مرة أخرى ، لتعبر منه السيارة عائدة من حيث أتت .

وقبل أن يُغلق الباب إلكترونيًا مرة أخرى خلفها ، كان الطبيب الشاب قد نجح فى العبور إلى الداخل .

وقف حائرًا داخل الصالة الرياضية الخالية ، وهو يتساءل عن المكان الذى ذهبت إليه الجثة .

وما لبث أن لمح جهازًا للتمرينات الرياضية يتم استخدامه لتقوية عضلات الصدر ..

لم يجد ما يفعله سوى محاولة استخدام هذا الجهاز .. وكان هذا هو الجواب ..

فما إن استخدم كلتا ذراعيه لجذب السلك المعدنى المتصل بالكتل الحديدية ، حتى رأى أرضية الصالة الرياضية تتحرك ، كاشفة عن وجود فجوة دائرية كبيرة .. تتصل بسلالم معدنية تقود بدورها إلى أسفل .

تقدم الدكتور (على) ليهبط درجات السلم وهو فى حالة من الذهول والدهشة ..

* * *

استدعى الدكتور (تاكد) مديرة أعماله إلى مكتبه ليقول لها :

ـ ماذا فعلت بشأن إقالة الطبيب المغربى ؟

أجابته :

ـ لقد اتصلت به لأخبره بأمر الإقالة .. لكننى لم أجده فى حجرته ، كما لم أعثر عليه فى أى مكان فى المستشفى أو المصحة .

ـ إذن .. أين ذهب ؟

فى تلك اللحظة اقتحم (جاك) الحجرة قائلاً :

ـ دكتور (تاكد) .. لقد اطلع الطبيب المغربى على معمل الأبحاث السرية الخاصة بك ..

هب (تاكد) واقفًا ليقول بانزعاج :

ـ ماذا تقول ؟

ـ هذا ما حدث .. ولا أدرى كيف تمكن من الوصول إلى هذا المكان ؟ كما علمت أنه قام بفحص جثة المريض رقم (٨) ، قبل نقلها إلى المعمل مدعيًا أنك صرحت له بذلك .

قال (تاكد) غاضبًا :

ـ وكيف سمحت له أن يفلت بذلك ؟

ـ لقد اكتشفنا أمره فى اللحظات الأخيرة .. لكنه هرب

قبل أن نضع أيدينا عليه .

قال (تاكد) وقد ازداد انزعاجه :

ـ هرب .. هل تعرف معنى ذلك ؟ إن هذا يهدد كل أبحاثى وتجاربى بالخطر .. كان يتعين أن تقضوا عليه فى الحال .

ـ لقد أرسلت رجالى فى إثره .. وأعدك بأنهم سيقضون عليه قبل أن ينجح فى إطلاع أحد على حقيقة الأمر .

قال (تاكد) :

ـ من الأفضل لك ولرجالك أن تفعلوا ذلك .. وإلا نالكم منى أذى كبير .

وفى أثناء ذلك كان الدكتور (على) يقود سيارته بأقصى سرعة ، محاولاً الابتعاد عن مصحة الدكتور (تاكد) ، بعد ما تكشف له من أسرار رهيبة أصابته بالرعب .. لكن الأمر لم يكن بهذه البساطة ..

فى إثره انطلقت سيارة أخرى محاولة اللحاق به وبداخلها أعوان الدكتور (تاكد) ..

اجتازت سيارة الدكتور (على) ميدانًا رئيسيًا فى العاصمة السويسرية ، ثم انحرفت إلى شارع جانبى .. وقد أثارت انتباهه السيارة التى تلاحقه ، وهى تحاول الاقتراب منه .


وانطلقت ثلاث رصاصات أصابته اثنتان منها ..

وأدرك أنه قد أصبح هدفًا لمطاردة أعوان (تاكد) ، فعمد إلى الهرب متخذًا لنفسه طريقًا عكسيًا .

لكنه سرعان ما اصطدم بسيارة قادمة من الطريق المقابل ، جعلت سيارته تنقلب على أحد جانبيها .

ونجا الطبيب الشاب من الموت بأعجوبة ، ليندفع مغادرًا السيارة محاولا الفرار بنفسه .

لكن أحد راكبى السيارة المطاردة غادرها سريعًا بدوره .. وهو يصوب فوهة مسدسه المزود بكاتم للصوت نحو (على) ..

وانطلقت ثلاث رصاصات أصابته اثنتان منها .. فجثا على ركبتيه والدماء تنزف منه .

تحامل على نفسه وعاد لينهض من جديد مندفعًا بين السيارات التى تزحم الطريق .. غير مبال بالأخطار التى تتهدده .

وما لبث أن وصل إلى الباب الرئيسى لمبنى السفارة (المصرية) ، وهو فى حالة يرثى لها .

وسارع رجال الأمن لاستقباله .. حيث قال لهم وهو يلهث من شدة التعب والألم :

ـ أريد مقابلة السفير المصرى .

سأله أحدهم :

ـ من أنت ؟ وما الذى أصابك ؟

أجابه بصعوبة :

ـ اسمى (على) وأنا مغربى الجنسية ، وأعمل طبيبًا فى مصحة الدكتور (تاكد) .. وازدرد لعابه وهو يحاول التغلب على آلامه قائلاً :

ـ لاوقت لدى لشرح المزيد .. أرجوك .. دعنى أقابل السفير المصرى الآن وفورًا .. فلدى معلومات هامة يتعين علىّ إبلاغها للحكومة المصرية قبل أن أموت .

بدا التردد على وجه رجال الأمن ، وقال أحدهم :

ـ إننى أفضل أن أستدعى لك سيارة إسعاف أولاً .

ـ لا جدوى من ذلك .. إننى طبيب وقد نزفت كثيرًا ، وأعرف أننى فى سبيلى إلى الموت .. أرجوكم ساعدونى على إطلاع السفير المصرى بما رأيته وعرفته قبل فوات الأوان .

وساعده رجال الأمن على الدخول إلى الردهة الداخلية لمبنى السفارة ، وقد سارع أحدهم لإبلاغ السفير بالأمر .

إن طلبات المحتضرين أوامر ...

* * *

٥ ـ العودة ..

كان (ممدوح) جالسًا فى شرفة الشاليه المطل على البحر ، الذى اختار لنفسه أن ينعزل فيه، منذ أن قرر الابتعاد عن العمل ، يرقب الأمواج المتلاطمة بعينين شاردتين .

ومالبث أن أفاق من شروده ، على صوت هدير سيارة تقترب من الشاليه .

لتقف أمام الشرفة تمامًا .

بدا له أنه يعرف هذه السيارة .. نعم إنها سيارة اللواء (مراد) .

وما لبث أن غادر اللواء (مراد) السيارة متقدمًا نحو الشاليه .. حيث سارع (ممدوح) باستقباله ، وعلامات الدهشة واضحة على وجهه قائلاً :

ـ سيادة اللواء !.. أهلا بك يا فندم .

قال اللواء (مراد) وهو يصافحه :

ـ كيف حالك يا (ممدوح) ؟ لقد كنت أؤدى بعض الأعمال فى الإسكندرية ، فرأيت أن آتى لمقابلتك .

قال (ممدوح) وهو يصحبه صاعدين فى الدرجات الخشبية القليلة المؤدية إلى الشاليه :

ـ يشرفنى حضورك يا فندم .
ودعاه للدخول .. لكن اللواء (مراد) قال له :
ـ لا داعى لذلك .. يمكننا أن نجلس هنا فى الشرفة.. فليس هناك أجمل من هذه السكينة ، وذلك الهواء العليل .
ـ سأعد لك شرابًا .
أمسك اللواء (مراد) بساعده قائلاً :
ـ ولا داعى لذلك أيضًا .. إننى مضطر للرحيل بعد بضع دقائق .. فلدىّ أعمال هامة تستدعى عودتى إلى (مصر) .. ورأيت أن أقضى هذه الدقائق معك .
دعاه (ممدوح) إلى الجلوس ، حيث بادره اللواء (مراد) بالحديث قائلا :
ـ لقد مر عشرون يومًا كاملة منذ ابتعادك عن العمل فى الإدارة .. ألم يحن الوقت لكى تتخلى عن هذا الاعتكاف؟
ـ أعتقد أننى مازلت غير مستعد للعودة إلى العمل .
قال اللواء (مراد) :
ـ لكننا بحاجة إلى عودتك يا (ممدوح) .. ولا أرى سببًا لاستمرارك فى هذا الاعتكاف .. وهذه العزلة .
ردّ (ممدوح) :
ـ أنت تعلم يا فندم أننى كنت مستعدًا لتقديم استقالتى .
ـ وأنا رفضتها .

قال (ممدوح) :
ـ أعتقد أنه لا جدوى من التمسك بى فى المكتب رقم (١٩) .
ـ لو كنت أرى أنه لاجدوى من استمرارك لنقلتك إلى أى عمل إدارى آخر ، بعيدًا عن العمليات الخاصة .
لكنى مازلت أرى فيك أكفأ الضباط العاملين فى الإدارة ، وأنك قادر على تحمل أصعب المهام وأخطرها .. (ممدوح) .. إننى لم أرك يائسًا هكذا من قبل .
ـ إن صورة (مجدى) ماثلة فى ذهنى ، وأنا أراه يفارق الحياة أمام عينى .
قال اللواء (مراد) :
ـ لست بحاجة لكى أكرر عليك أن (مجدى) كان يؤدى واجبه ، وأنه استشهد فى سبيل هذا الواجب .. وهذا أمر يتساوى فيه جميع العاملين فى العمليات الخاصة .. كلكم تعرفون ذلك ، وكلكم وهبتم أنفسكم لهذا العمل منذ التحاقكم بالمكتب رقم (١٩) .
إنكم مثل أى جندى مستعد دائمًا للدفاع عن بلاده .. معرض دائمًا للموت والاستشهاد فى أية لحظة .
ـ لكن (مجدى) دفع حياته ثمنًا لخطئى ..
قال اللواء (مراد) :

- إن تقديرى هو أنك لم تخطئ ..

- إنك تحاول أن تخفف عنى الإحساس بالمسئولية .

- لو رأيت أنك أخطأت لحاسبتك مثلك مثل أى ضابط آخر فى الإدارة .. لكنى أرى أنك تصرفت على النحو السليم .

قال (ممدوح) :

- إن هذا لن يغير من إحساسى بالذنب .

نهض اللواء (مراد) قائلاً :

- يؤسفنى أن أراك على هذه الصورة ، بعد أن عهدت فيك القوة والصلابة والعزيمة التى لا تلين .

لقد كنت أستعد لأرشحك لمهمة تحتاج إلى كفاءتك .. وتحتاج منك (مصر) أن تضطلع بها .. لكن يبدو أنك لم تعد مهيئًا للقيام بمهام من هذا النوع .

- سيادة اللواء ..

لكن اللواء (مراد) قاطعه قائلاً بحزم :

- (ممدوح) .. إذا أردت أن تستقيل فإننى سأقبل استقالتك .. يمكنك أن تقدمها لى غدًا فى مكتبى لو أردت .

وبدون أن يمنحه الفرصة للاستطراد فى الحديث غادر الشاليه واستقل سيارته عائدًا من حيث أتى .

* * *

وفى اليوم التالى طرق (ممدوح) باب حجرة اللواء (مراد) فى إدارة العمليات الخاصة .

واستقبله اللواء (مراد) دون ترحاب على غير العادة ، وهو يرفع عينيه عن الأوراق الموضوعة فوق مكتبه للحظة متطلعًا إليه .

ثم عاد لمطالعة أوراقه قائلاً :

- هل أحضرت معك طلب الاستقالة ؟

قال (ممدوح) :

- بل جئت لأعرف المهمة التى سأكلف بها .

عاد اللواء (مراد) يرفع عينيه عن الأوراق مرة أخرى قائلاً :

- هل تعنى أنك تخليت عن رغبتك فى الاستقالة ؟

قال له (ممدوح) بنبرة واثقة :

- نعم .

- كنت واثقًا بأنك ستفعل ذلك .. ولكن ما الذى دعاك إلى تغيير رأيك ؟

- لقد فكرت كثيرًا بعد مغادرتك للشاليه بالأمس فيما قلته .. ولم أستطع أن أبعد عن ذهنى تلك العبارة : « إن (مصر) تحتاج منى إلى القيام بهذه المهمة » .

فما كنت لأستطيع أن أتخلى عن واجبى نحو وطنى .

ارتسمت ابتسامة إعجاب على وجه اللواء (مراد) وهو يقول :

ـ هذا هو (ممدوح) الذى أعرفه .

ـ والآن .. ما هى المهمة يا فندم ؟

نهض اللواء (مراد) من فوق مقعده ، وراح يتحرك فى أرجاء الحجرة كعادته عندما يريد شرح أمر هام ، قائلاً :

ـ منذ أربعة أيام ، حضر أحد الأشخاص إلى سفارتنا فى (سويسرا) وهو يترنح فى سيره ، والدماء تنزف منه ، بعد أن أصيب بطلق نارى فى جسده .. وألحَّ على ضرورة مقابلة السفير المصرى بأية وسيلة ، قبل أن يقضى نحبه .

وقد تبين أن هذا الشخص هو طبيب مغربى الأصل ، يعيش فى (سويسرا) منذ سنوات طويلة ، ويعمل فى مستشفى طبيب له شهرة دولية فى علاج الأمراض المستعصية ، وهو الدكتور (تاكد) .

ولم يستطع الطبيب الشاب أن يفضى بالكثير للسفير المصرى .. فقد قضى نحبه بعد عشر دقائق فقط من مقابلته له .. وسقط جثة هامدة داخل السفارة .

لكن ما قاله كان على قدر كبير من الخطورة ، لو ثبتت صحته .

قال له (ممدوح) وهو يبدى اهتمامًا :

ـ ماذا قال ؟

ـ لقد أصيب زعيم حزب «النهضة» المعارض بمرض عضال ، استدعى منه أن يستقيل من زعامة الحزب .. وتقرر علاجه بالخارج بناء على نصائح الأطباء .. وأن يسافر للعلاج فى مستشفى الدكتور (تاكد) ، باعتباره من أشهر المتخصصين فى ذلك النوع من الأمراض .

ومنذ شهر تقريبًا سافر (فاخرعبد الحميد) زعيم الحزب السابق إلى (سويسرا) ، والتحق بمستشفى الدكتور (تاكد) .

لكن منذ أسبوعين أخطرنا بأنه غادر المستشفى بعد أن رفض الاستمرار فى العلاج .. إلى جهة غير معلومة .

ونشطت أجهزة البحث فى (مصر) و(سويسرا) ؛ للتحرى عن المكان الذى ذهب إليه السيد (فاخر) دون جدوى .. حتى أن بعض الأحزاب غير المسئولة روجت أنه تم التخلص منه بوساطة أحد الأجهزة البوليسية ، لمواقفه السابقة من الحكومة ، والتى كانت تتميز بالحدة والصلابة .

وبرغم المناخ الديمقراطى الذى نعيشه إلا أن هذه الإشاعة سرعان ما سرت فى (مصر) بطريقة أثارت قلق المسئولين ..

وبسؤال السلطات السويسرية ، تبين أن السيد (فاخر) لم يغادر البلاد ، ولم يسع لتجديد تأشيرة الإقامة ، إلا إذا كان قد لجأ إلى ذلك بطرق غير رسمية .

واستمرت المكاتبات والتحريات بشأن هذا الموضوع بين الحومتين المصرية والسويسرية ، دون أن نصل إلى الحقيقة حول سر اختفاء زعيم حزب النهضة ، وقد أصبح الأمر بمثابة لغز يصعب فهمه .

لكن الطبيب المغربى أوضح قبل موته ، أن زعيم الحزب مازال موجودًا بالمستشفى ، فى المصحة العلاجية المخصصة للاستشفاء ، والتى يمتلكها أيضًا الدكتور (تاكد) فى تلك البقعة المنعزلة من الجبال السويسرية.

وقال وهو يهذى بكلمات غير مفهومة ، إن الرجل على وشك التعرض لأمر فظيع .. وإن علينا أن نسعى لإنقاذه من المصير المخيف الذى ينتظره هناك ..

فى البداية تصور السفير المصرى أن الأمر لا يعدو أن يكون هذيان شخص يحتضر.. لكن هذا لم يمنعه من الاتصال بالحكومة المصرية .. وبإخطارها بالأمر ، فبادرت الحكومة المصرية بالاتصال بالسلطات السويسرية ، وإطلاعها على ما قاله الطبيب المغربى قبل موته .. وطالبهم المسئولون بتحرى الأمر .. خاصة وأن مصرع هذا الطبيب الذى كان يعمل فى

مستشفى الدكتور (تاكد) لم تتضح أسبابه.. ولم تستطع الشرطة السويسرية حتى هذه اللحظة العثور على الجانى .

لكن السلطات السويسرية أخبرتنا بأنها لم تجد ما يريب ، أو يشير إلى وجود أمور غير طبيعية فى مستشفى الدكتور (تاكد) .. كما أن الشرطة لم تعثر على أثر يشير إلى وجود زعيم حزب المعارضة المصرية هناك ، بعد البيانات التى قدمتها إدارة المستشفى من قبل بشأن مغادرته لها .. واستقر الأمر على قيد قضية مصرع الطبيب المغربى الشاب ضد مجهول ومتابعة التحريات بشأن اختفاء زعيم حزب النهضة .

قال (ممدوح) :

ـ لكن هناك بالفعل علامات استفهام بشأن اختفاء زعيم الحزب .. ثم مصرع الطبيب المغربى .. وتلك العبارات الغامضة التى قالها قبل موته ..

أعتقد أنه لا يمكننا تجاهلها .

ـ تمامًا .. إن السيد (فاخر عبد الحميد) هو أولاً وأخيرًا مواطن مصرى ، سواء كان فى الحزب الحاكم أو المعارض .. مواطن مصرى يتعين علينا حمايته ..

ثم إنه فى حزب له وزنه فى الحياة السياسية المصرية ، واختفاؤه على هذا النحو لابد وأنه سيثير

البلبلة والشكوك ، ما دام لا يوجد تفسير واضح بشأن هذا الاختفاء .. مما قد يؤثر على الاستقرار الاجتماعى والسياسى .. ويشجع البعض على استغلال الموقف وتوجيه اتهام للحكومة بشأن اختفائه .

وعاد اللواء (مراد) ليجلس أمام مكتبه ويستطرد :

ـ وهذا يتطلب منك أن تسافر إلى (سويسرا) ، وتبحث عن تفسير واضح ، بشأن هذا الاختفاء المفاجئ .

لابد من العثور على (فاخر عبد الحميد) ، أو تحديد أسباب واضحة لاختفائه يمكن تقديمها للمواطنين هنا .

إذا لم يكن الرجل قد غادر (سويسرا) .. فما الذى حدث له ؟.. هل ازداد عليه المرض على نحو تسبب فى موته ؟ وإذا كان ذلك قد حدث فأين هى جثته ؟ وما الذى دعاه إلى مغادرة المستشفى برغم ذهابه للعلاج هناك ، وفقا لتقارير وبيانات المستشفى نفسه ؟

وإذا كان قد غادر (سويسرا) بطريقة ما .. فإلى أين ذهب ؟

أما إذا كان ما قاله الطبيب المغربى حقيقيًا.. فلابد من استكشاف الأمر بشأن ما يدور فى مستشفى الدكتور (تاكد) .

قال (ممدوح) :

ـ أعتقد أننى سأبدأ بإجراء التحريات اللازمة فى هذا المستشفى .

ـ لكن كن حذرًا .. فالدكتور (تاكد) شخصية مرموقة عالميًا .. والسلطات السويسرية نفسها توفر له الحماية اللازمة .. باعتبار أن مصحته ومستشفاه محط اهتمام وآمال العديد من الشخصيات ذات المكانة فى مختلف بلاد العالم .. وأية إساءة للتصرف من جانبك قد تؤدى إلى مشاكل عديدة .

ـ سأحاول التصرف بحذر .. لكننى لا أضمن ذلك ، لو ثبت أن الدكتور (تاكد) متورط فى شىء يتعلق بجريمة ما .

قال اللواء (مراد) :

ـ حسن .. كن متأهبًا للسفر غدًا .. ولسوف ألتقى بك بعد ساعة من الآن لنتفق على الترتيبات اللازمة .

وقبل أن يغادر (ممدوح) الحجرة ، توقف لدى الباب .. ثم استدار قائلا :

ـ أشكرك يا فندم على رحابة صدرك ، ومساندتك لى خلال أزمتى النفسية .

ابتسم اللواء (مراد) وقال :

ـ إننى سعيد بعودتك للانضمام إلى صفوفنا .. وأريد أن تعرف أننى لم أكن أعنى ما قلته بشأن الاستقالة .. فقط أردت أن أحفزك لكى تسرع بالعودة إلينا .. ولأننى كنت أعرف أنك ستفعل ذلك ..

* * *

٦ - الاختفاء الغامض ..

اضطر (ممدوح) لقطع عدة مراحل من أجل الوصول إلى مصحة الدكتور (تاكد) للأمراض المستعصية .

فبعد وصوله بساعتين إلى مطار « برن » استقل طائرة مروحية نقلته إلى المنطقة الجبلية التى يقع بها المستشفى .. ثم وجد نفسه برفقة أحد العاملين فى المستشفى ، الذى اصطحبه فى إحدى سياراتها إلى هناك .

كانت المصحة قائمة فى بقعة رائعة بإحدى المناطق الجبلية المرتفعة ، على مسافة سبعة عشر كيلومترًا من المدينة ، وعلى مساحة ثلاثين فدانًا تقريبًا .. وبها مساحات متنوعة من الحدائق .

أما المستشفى فقد كان يتوسط المكان ، ولاحظ (ممدوح) أنه يتميز بالأناقة الشديدة ويبدو على أحدث طراز برغم عدم ارتفاع مبانيه .

كما لاحظ (ممدوح) فى أثناء اقترابه من المستشفى ، وجود غابة من الأشجار تحيط به ، وتنحدر فوق المرتفع الجبلى القائم عليه .

وعندما توقفت السيارة أمام المبنى الإدارى للمستشفى ، وجد شخصًا يقف فى استقباله .

لم يدر .. لماذا لم يشعر بالارتياح تجاه هذا الشخص .. فقد بدا وجهه قاسيًا ومتصلبًا برغم الابتسامة التى حاول أن يرسمها وهو يستقبله .

ومد له يده مصافحًا ، وقال :

- يسرنا استقبالك فى المصحة يا مستر (وليد) أعرفك بنفسى .. إننى أدعى (جاك) ، وأعمل سكرتيرًا خاصًا لمستر (تاكد) .

وصافحه (ممدوح) قائلاً :

- أشكرك على هذا الترحيب .

واصطحبه (جاك) إلى الدخل ، وهو يقول :

- لابد أن رحلتك كانت مرهقة ؛ لبعد المسافة عن العاصمة السويسرية .

- إن هذه البقعة تتميز بجمال طبيعى يعوض إرهاق الرحلة .

ودعاه الرجل للدخول إلى حجرة فاخرة الأثاث ، حيث سأله (ممدوح) :

- ترى .. متى يمكننى مقابلة دكتور (تاكد) ؟

- اطمئن .. لن يتأخر الدكتور (تاكد) عن مقابلتك طويلاً .

وفى تلك اللحظة دخلت (سولين) إلى الحجرة ، فقال له مستطردًا :

ـ إن مدام (سولين) ستقوم على خدمتك ريثما يحضر الدكتور (تاكد) لمقابلتك .

قالت مرحبة بـ (ممدوح) :

ـ أهلاً بك فى مصحة الدكتور (تاكد) يا مستر (وليد) .

ثم توجهت نحو بار جانبى فى الحجرة قائلة :

ـ ماذا أعد لك من الشراب ؟

ـ أعتقد أن كوبًا من عصير البرتقال سيكون مناسبًا .

أعدّت كوب العصير ، وقدمته له وهى تتأمله بنظرات فاحصة وقالت :

ـ لقد علمت أنك ترغب فى البقاء لدينا لمدة خمسة أيام .

قال (ممدوح) :

ـ نعم إننى بحاجة لهذه الفترة حتى يمكننى إجراء التحقيق الصحفى الخاص بمصحة الدكتور (تاكد) .. وقد أرسلت المجلة التى أعمل بها طلبًا بهذا الشأن قبل مجيئى ، وتلقينا موافقة الدكتور (تاكد) على ذلك .

ـ لقد تم إعداد حجرة لك فى المصحة من أجل إقامتك .. وأتمنى أن تجدها مريحة .

ـ أرجو ألا أكون قد أثقلت عليكم ، عندما طلبت الإقامة فى المصحة خلال فترة إجراء تحقيقى الصحفى ..

ـ بالعكس .. أعتقد أنك ستقدم لنا دعاية طيبة من خلال هذا التحقيق الصحفى .. خاصة عندما تتعايش مع هذا المكان .. ولو أن مصحة الدكتور (تاكد) ليست بحاجة إلى دعاية .

قال (ممدوح) فى كياسة :

ـ نعم بالطبع .. فهذه المصحة والمستشفى الذى تضمه لهما شهرة دولية مرموقة ..

وفى تلك اللحظة فتح باب الحجرة ، ودخل الدكتور (تاكد) وهو يرتدى معطفه الأبيض قائلاً لـ (ممدوح) :

ـ آسف إذا كنت قد تأخرت عليك .

ثم مدّ له يده مصافحًا وهو يقول :

ـ أنت الصحفى اللبنانى الذى رشحته مجلة « الأضواء العالمية » لإجراء تحقيق صحفى بشأن المصحة .. أليس كذلك ؟

ابتسم (ممدوح) وهو يصافحه :

ـ بلى ..

قال دكتور (تاكد) :

ـ يشرفنى استقبالك يا مستر .. (وليد) .. أحسب هذا هو الاسم ..

ـ إننى سعيد بلقاء طبيب عالمى مثلك يا دكتور (تاكد) .

وفى تلك اللحظة تقدمت (سولين) لتنزع المعطف الأبيض عن الطبيب .

ثم أحضرت له شرابًا ، حيث جلس بجوار (ممدوح) يتأمله .. ثم قال :

ـ ولكن .. ما الذى دعا المؤسسة الصحفية التى تعمل لحسابها إلى اختيارى مجالا لهذا التحقيق الصحفى الذى كلفت به ؟

ـ إنك شخصية مرموقة يا دكتور (تاكد) .. كما أنه من المعروف أن المستشفى التى تديره يصنع المعجزات .. وأن هناك عديدًا من الأمراض المستعصية والتى كاد أصحابها يفقدون الأمل فى الشفاء ، قد شفيت على يديك .. ألا ترى أن كل هذا يستحق أن يكون مجالا لإجراء تحقيق صحفى ؟

قال (تاكد) باستعلاء :

ـ لكن هذا ليس أمرًا جديدًا ، وقد سبق الكتابة عنه فى مجلات وصحف عالمية من قبل .

ـ ربما كان القارئ فى الشرق الأوسط بحاجة إلى المزيد من المعرفة ، بشأن الإمكانيات الهائلة التى يقدمها هذا المستشفى لمرضاه .

قال الدكتور (تاكد) :

ـ على أية حال إننى ومصحتى فى خدمتك .

ـ أشكرك .. هل أستطيع أن أبدأ بحديث قصير معك ؟

ـ بالطبع ..

سأل (ممدوح) :

ـ من المعروف أنك (قاقازى) الأصل .. وقد بدأت شهرتك من (قاقازيا) ، فلماذا لم تستمر هناك ؟

ـ ليس للعلم حدود يا صديقى .. وقد وجدت فى هذه البقعة من العالم مناخًا جيدًا للمساعدة على الاستشفاء .. وهى بالفعل منطقة مميزة ..

ـ لكن من المعروف أن (قاقازيا) لا تفرط فى علمائها بسهولة ، وتضع الكثير من العوائق فى سبيل منعهم من السفر .. خاصة من كانوا مميزين مثلك ..

ضحك دكتور (تاكد) وقال :

ـ لقد نجحت فى مغادرة (قاقازيا) والاستقرار هنا بفضل صداقتى لبعض المسئولين فى الحكومة القاقازية .. وبعد أن أسهمت فى علاج أحدهم من مرض عضال ..

ـ أعرف أن عدد مرضاك لا يتجاوز اثنى عشر أو ثلاثة عشر مريضًا على الأكثر كل عام ، برغم الطلبات العديدة التى تقدم إليك للعلاج هنا .. فلماذا لا تتوسع فى قبول العديد من الطلبات التي تقدم لك ،



ضحك دكتور (تاكد) وقال :

ـ لقد نجحت فى مغادرة (قاقازيا) والاستقرار هنا بفضل صداقتى لبعض المسئولين فى الحكومة القاقازية ..

مادامت مستوفية الشروط المطلوبة ؟ ولماذا لا تقبل سوى هذا العدد المحدود ؟

ـ لأنه لا يمكننى التعامل طبيًّا وصحيًّا إلا مع هذا العدد الذى تم تحديده بعناية .. هذا هو الأمر ببساطة .

ـ يقال إن لك أصابع سحرية فى علاج عدد من الأمراض المستعصية ، التى فشل علاجها فى أماكن أخرى من العالم .

ابتسم (تاكد) قائلاً :

ـ كل ما هنالك أننى أجيد أداء عملى على نحو أفضل من الآخرين .. وأمتلك الإمكانيات التى تسهل لى ذلك .. كما أن لدى فريقًا من الأطباء تم اختيارهم بعناية لمساعدتى فى هذا المجال .

ـ ومع ذلك .. فقد ظهرت فى الآونة الأخيرة عدة حالات وفيات ، احتار الأطباء فى تفسيرها .. خاصة أنها لم تكن على نحو من الخطورة ينذر بالموت .. على الأقل خلال الأشهر القليلة التى قضاها هؤلاء المرضى فى مستشفاك .

قال دكتور (تاكد) :

ـ لا تنس أننى أتعامل مع مرضى يتهددهم الموت ؛ لأنهم يعانون أمراضًا مستعصية ، واحتمال الوفاة قائم دائمًا .. وفى أية لحظة .. ولا يمكن لأى طبيب أن يجزم

بتوقيت معين للموت والحياة بالنسبة لهؤلاء المرضى .

إننى لا أمتلك أصابع سحرية كما قلت لعلاج المرض .. إننى أقدم فقط أفضل ما أمتلك من مهارة كطبيب وجراح .. وأوفر العناية المثالية لرعاية هؤلاء المنكوبين .. وفى النهاية فإن القدر يقول كلمته .

ـ ألا يحتمل أن يكون نوع العلاج أو الأسلوب الجراحى الذى تتبعه فى مستشفاك .. فى الآونة الأخيرة هو الذى عجل بموت هؤلاء المرضى ؟!

ارتسمت ملامح الغضب على وجه (تاكد) لدى سماعه لهذا السؤال .. لكنه حاول أن يسيطر على مشاعره قائلا :

ـ أعتقد أن هذا كلام يفتقد إلى المنطق السليم ياعزيزى .. لأنه لا يعقل أن يكون جراح مشهور له خبرته مثلى .. ويمتلك واحدًا من أشهر المستشفيات العالمية ، وينتهى به الأمر إلى تقديم علاج يتسبب فى موت مرضاه ..

ـ وماذا بشأن هؤلاء المرضى الذين يختفون من المستشفى فجأة بعد فترة علاج قصيرة ، دون أن يعرف أحد شيئًا عنهم ؟

ازدادت ملامح الغضب فى وجه (تاكد) وبصوت يعبر عن هذا الغضب قال وهو يحدج (ممدوح) بنظرة نارية :

ـ من قال لك ذلك ؟

قال (ممدوح) :

ـ لقد أشارت له بعض الصحف فى (سويسرا) وفى بلدان أخرى .

ـ إن اختفاء ثلاثة من المرضى على إثر مغادرتهم للمصحة لا يعنى أننى المسئول عن ذلك .. ثم إن اختفاء هؤلاء الثلاثة ، من بين عشرات المرضى الذين أعالجهم فى مصحتى سنويًا لا يعنى أن الأمر قد تحول إلى ظاهرة كما تحاول أن تلمح فى سؤالك .

قال (ممدوح) بهدوء وهو يرقب انفعالات وجهه :

ـ إننى لا أحاول التلميح بشىء .. لكن الأمر يدعو إلى التساؤل فقط .. فهناك رجل أعمال فرنسى اختفى بعد أسبوعين من إقامته فى المستشفى .. وهناك ثرى إيطالى حدث له نفس الشىء .. أيضًا أحد رجال السياسة المصريين .. كتبت الصحف عن اختفائه المفاجئ بعد فترة قصيرة من حضوره إلى المستشفى للعلاج .. وكل ذلك قد حدث فى فترات زمنية متعاقبة .. ألا يدعو الأمر إلى التساؤل ؟

قال الدكتور (تاكد) وهو يحاول أن يسيطر على انفعالاته من جديد :

ـ إن هؤلاء الأشخاص يلتحقون بالمستشفى بأوراق رسمية ثابتة فى السجلات .. ويغادرونها أيضًا بمحض إرادتهم وبتعهدات رسمية تؤكد رغبتهم فى عدم الاستمرار فى العلاج ، وتحملهم المسئولية الشخصية لمغادرة المستشفى دون استكمال العلاج .

وهذا مستشفى للعلاج ومصحة للاستشفاء ، وليس سجنًا .. وبالطبع أنا لا أستطيع أن أجبرهم على البقاء ماداموا يصرون على مغادرة المستشفى ، والتوقف عن استكمال علاجهم .

ـ لكن لماذا يرفضون الاستمرار فى العلاج ، برغم أنهم قد جاءوا من أجله ؟

قال (تاكد) :

ـ هذه ظاهرة طبيعية تحدث فى جميع مستشفيات العالم .. خاصة بالنسبة لهذا النوع من المرضى المصابين بأمراض ، احتمال الشفاء منها ضئيل .. واحتمالات الموت قائمة فى أية لحظة .. بالإضافة للآلام القاسية لمن يعانون هذه الأمراض .

فبعضهم يعانى متاعب نفسية جسيمة ، بسبب إصابته بأمراض من هذا النوع .. وقد تتملكهم حالة من الاكتئاب الشديد ، تدفعهم إلى اليأس وعدم الرغبة فى

الاستمرار فى العلاج .. وربما يسعى بعضهم إلى الانتحار للتخلص من آلامه .. مما يدفعه إلى مغادرة المستشفى ورفض المساعدة فى علاجه ..

وأنا غالبًا أخضع المرضى الذين يعانون أمراضًا خطيرة من هذا النوع لعلاج نفسى ، بالإضافة للعلاج العضوى .. حتى يمكنهم التغلب على الآثار النفسية التى تصاحب هذا المرض .. لكنى لا أملك أن أجبرهم على الخضوع لهذا العلاج إذا أصروا على رفضه .

ـ هل تظن أن هؤلاء الذين اختفوا بعد مغادرتهم لمستشفاك قد انتحروا ؟

قال دكتور (تاكد) :

ـ هذا احتمال قائم ..

قال (ممدوح) :

ـ وأين جثثهم إذن ؟

ـ أعتقد أن هؤلاء الأشخاص يلجئون إلى مكان منعزل ليقدموا على الانتحار .. وربما قضى أحدهم على نفسه بطريقة يصعب معها تعرف الجثة نتيجة معاناته النفسية .

ـ أيمكن أن يكون هناك اتفاق بين هؤلاء على الانتحار بهذا الأسلوب ؟!

قال (تاكد) :

ـ إننى أفترض هذا الاحتمال .. لكن ربما أن أحدهم مازال على قيد الحياة منفردًا بنفسه فى مكان ما فى انتظار الموت .. فالاكتئاب الذى يصيب ذلك النوع من المرضى يجعل من الصعب التكهن بتصرفاته .

ابتسم (ممدوح) قائلاً :

ـ حسن يا دكتور (تاكد) .. أعتقد أننى سأكتفى بهذا القدر من الحديث الآن .

نهض دكتور (تاكد) ليودعه قائلاً :

ـ ستصحبك مدام (سولين) إلى حجرتك التى ستقيم بها خلال فترة إقامتك فى المصحة .. وأرجو أن تروق لك .

صافحه (ممدوح) قائلاً :

ـ أشكر لك هذا الاهتمام .

ـ ستكون لك حرية التنقل فى المستشفى والمصحة على النحو الذى يكفل لك تعرف كل ما تريده بشأن تحقيقك الصحفى .. وسيكون بيننا لقاءات قادمة .

ـ لقد كنت أتمنى أن أحضر معى مصورًا صحفيًا لتصوير المكان .. لكنكم رفضتم ذلك .

قال دكتور (تاكد) :

ـ سنزودك بالصور اللازمة التى تحتاج إليها .. فنحن لا نحبذ قيام مصورين خارجيين بذلك .

ـ حسن .. والآن هل تأذن لى ؟

قال دكتور (تاكد) :

ـ تفضل .. وأرجو أن تقضى وقتًا طيبًا لدينا .. وأن تؤدى عملك على الوجه الأكمل .

غادر (ممدوح) الحجرة وقد انتابه شعور بأن هناك شيئًا خفيًا وخطيرًا يكمن وراء هذا الرجل ..

ولم ينس ملامح الغضب التى ارتسمت على وجهه ، حينما حدثه عن واقعة اختفاء هؤلاء الأشخاص الثلاثة ، الذين جاءوا للعلاج فى مصحته .. بالرغم من محاولته التخفيف من الانفعال المفاجئ الذى طرأ عليه ..

كانت (سولين) فى انتظاره خارج الحجرة ؛ لتصحبه معها إلى المصعد المؤدى إلى الغرفة المخصصة له فى المصحة ..

كان (ممدوح) ممتنًا للخطة المحكمة التى تم إعدادها فى الإدارة قبل حضوره إلى هنا ، لكى ينتحل صفة صحفى فى مجلة « الأضواء العالمية » .

وقد أخبره اللواء (مراد) أن رئيس مجلس إدارة المؤسسة الصحفية التى تتبعها المجلة ، سيتعاون معهم فى هذا الشأن ، وسيتم ترتيب كل شىء بحيث تتطابق هذه الصفة مع أية معلومات قد يحاول (تاكد) وأعوانه

الحصول عليها بشأنه بالإضافة إلى البطاقة الصحفية التى قدمت له ، والتى تشير إلى عمله كصحفى فى مجلة (الأضواء اللبنانية) بالفعل ..

ألقى (ممدوح) نظرة على المرأة الواقفة إلى جواره وهو يتساءل :

ـ ترى .. أى قدر من المعلومات تعرفه عن دكتور (تاكد) ؟.. وهل يمكن أن تفيد بشىء إزاء مهمته حول اختفاء زعيم الحزب ؟.

كان يعرف جيدًا أنه يتعين عليه تحديد مسئولية دكتور (تاكد) عن اختفاء (فاخر عبد الحميد) ، خلال الأيام الخمسة التى سيقضيها هنا بصورة قاطعة .. وعليه ألا يتجاوز هذه المهلة بأى حال من الأحوال .

لأنه لو كان (تاكد) غير مسئول عن هذا الأمر ، فلابد له من أن يتجه ببحثه إلى وجهة أخرى .

أما لو كان مسئولاً فإنه ـ لو تجاوز (ممدوح) هذه الأيام الخمسة التى حددت له ـ يشكل خطورة كبيرة .. فبمضى الوقت قد يمكن لـ (تاكد) أن يحدد حقيقة الدور الذى يلعبه .. وربما أدى هذا إلى اختفائه أيضًا بوسيلة ما .. عليه أن يستغل كل دقيقة هنا للوصول إلى الحقيقة ، والبحث عن سر اختفاء زعيم الحزب على إثر مجيئه إلى هذا المكان .

* * *

٧ ـ اللعب بالنار ..

توقفت (سولين) أمام باب الغرفة قائلة :

ـ هذه هى غرفتك .. إننا نصحو هنا فى السادسة صباحًا وفقًا للنظام المتبع فى المصحة .. لكن بالنسبة لك يمكنك ألا تتقيد بالتعليمات .. إذا أردت أى شىء يمكنك أن تتصل بى هاتفيًا ..

ابتسم (ممدوح) وهو ينظر لها بخبث قائلاً :

ـ أى شىء ؟!.

أحست بالارتباك للحظة .. لكنها تعمدت أن تتجاهل نظراته قائلة :

ـ فى حدود النظام واللوائح المتبعة هنا .

ضحك (ممدوح) وقال :

ـ لكنك قلت منذ قليل إنه يمكننى ألا أتقيد بالتعليمات .. فأنا حالة استثنائية .. أليس كذلك ؟.

قالت له بلهجة جادة وهى تهم بالابتعاد :

ـ أرجو لك ليلة طيبة يا مستر (وليد) .

لكنه استوقفها قائلاً :

ـ انتظرى .. ألن ترينى غرفتى ؟

ـ يمكنك أن تراها بنفسك .

وبقى (ممدوح) محتفظًا بابتسامته وهو يرقبها فى أثناء ابتعادها ، قائلًا لنفسه :

ـ إنها امرأة جميلة بالفعل .. أرجو أن أكون قد نجحت فى إثارة مشاعرها . فبما أنها وطيدة الصلة بدكتور (تاكد) ، وترافقه فى عمله .. إذن لابد وأننى سأحتاج لمساعدتها ، إذا ما اقتضى الأمر ذلك .

دخل (ممدوح) إلى غرفته .. حيث أضاء أنوارها .. ثم أطلق صفيرًا عاليًا تعبيرًا عن إعجابه بها .. وهو يقول :

ـ يالها من حجرة !.. إنها لا تقل أناقة عن إحدى حجرات فندق خمس نجوم (درجة أولى) .

وتأمل (ممدوح) البساط الأزرق السميك ، والفراش الوثير ، والستائر المخملية ، وهو يردف قائلًا :

ـ إنها حجرات تصلح بالفعل لنوعية الشخصيات المترددة على هذا المكان ، وأخذ يفحص الأركان وخلف اللوحة المعلقة ، وجهاز الهاتف بحثًا عن أية أجهزة تصنت أو تصوير خفية .

وما لبث أن عثر على أحدها مثبتًا فى قاعدة الأباجورة الموضوعة على (الكومودينو) المجاور للسرير .. جهاز تصنت دقيق الحجم ، يشبه زر الجاكت الصغير ..

لكنه كاف لنقل أى حديث يدور داخل الحجرة بطريقة واضحة تمامًا .

وألقىَ نظرة على الثريا المدلاة من سقف الحجرة ، ليلمح بعينه الخبيرة كاميرا تليفزيونية دقيقة الحجم أيضًا ، تستطيع أن تنقل صورته بنفس الوضوح ..

ابتسم (ممدوح) قائلًا لنفسه :

ـ يبدو أنك تبدى اهتمامًا أكثر من اللازم بنزلائك يا دكتور (تاكد) .. ثم بدل ثيابه دون اكتراث وألقى بنفسه على الفراش بعد أن أطفأ الأنوار ، محاولًا الحصول على بضع ساعات من النوم ، تعينه على مواصلة مهمته التى بدأت بالفعل .. إن ساعات عصيبة تنتظره حتمًا ..

* * *

وفى تلك اللحظة كان (تاكد) جالسًا فى الشرفة بفيلته الأنيقة ، التى أقامها داخل المصحة ، عندما حضر إليه (جاك) ليقول :

ـ إن (كروز) ثائر للغاية .. وبدا وجهه شديد الاحتقان عما كان عليه بالأمس ..

قال (تاكد) بهدوء :

ـ أعرف ذلك .. إنها تطورات طبيعية ، بعد الإشعاعات التى تعرض إليها بالأمس .

ـ لكن ألا ترى فى ذلك خطورة عليه ؟

ـ لقد أعطيته حقنة مخدرة قبل حضورى إلـى هنا .. وهو الآن نائم كطفلٍ وديع ..

ثم أدرف قائلاً :

ـ دعك من هذا .. واهتم بأمر صديقنا الصحفى .

قال (جاك) :

ـ لقد تحريت عنـه بالفعـل .. والمعلومـات التى حصلت عليها تؤكد أنه صحفى بتلك المجلة دون ريب .. وأنه كلف بإجراء ذلك التحقيق الصحفى حول المصحة من قبل المجلة ..

ـ ومع ذلك .. فهناك شىء لا يريحنى فى ذلك الرجل .

قال (جاك) :

ـ وأنا أيضـًا أشاركك ذلك الرأى .. فقد رآه أحـد رجالى من خلال الكامير التليفزيونية يبحث عن أجهزة تصنت داخل غرفته .. وقد عثر على جهاز التصنت فى قاعدة الأباجورة بالفعل .

قال (تاكد) :

ـ وما الذى يثير قلقك فى فضول قد يكون طبيعيًا ؟

ـ إن طريقتـه فى البحث تؤكـد أنه محترف .. وهذا ليس أسلوب صحفى عادى .

قال (تاكد) :

ـ واهتمامه بأمر اختفاء الرجال الثلاثة من المصحة أيضًا يثير الارتياب .

ـ لم يسبق لجريدة أو مجلة أن طلبـت إجراء تحقيق صحفى من هذا النوع حول المصحة .

ـ على كل حال ستضعه نصب عينيك ، دون أن يشعر بأنه مراقب بالفعل ، إلى أن ترى ما الذى يختفى وراء هذا الصحفى الذى ظهر لنا فجأة .

قال (جاك) :

ـ وإذا ما ثبت أنه يخفى ما هو أكثر من ذلك ؟

أطلق (تاكد) زفرة قصيرة وقال فى ملل :

ـ إذن تحتم علينا أن نتخلص منه .

لكنه قال مستدركًا :

ـ لكن بطريقةٍ تبدو قدرية .

ثم أردف قائلاً :

ـ ماذا بشأن القاقازيين ؟

قال (جاك) :

ـ لم نلحظ أى رد فعل من جانبهم حتى الآن ، بعد أن أبعدنا رجالهم عن المصحة ، وأوضحنا لهم توقفنـا عن التعامل معهم .. لكنى لا أظن أنهم سينفضون أيديهم منا .

ـ هذا ما أظنـه أيضًا .. لكن سيتبين لهم فيمـا بعد أن (تاكـد) قد أفلت من قبضتهم تمامًا .. ولن يمكنهم

الإطباق عليه من جديد ..

وفى تلك اللحظة تردد رنين جرس الهاتف فى المكان ، فتناول (جاك) السماعة مستفسرًا عن المتحدث .

وما لبث أن قدمها لـ (تاكد) قائلا :

ـ إنها (سولين) تريد أن تحدثك .

تناول (تاكد) السماعة قائلاً :

ـ نعم .. نعم .. دعيه يأت ..

ثم التفت إلى (جاك) وهو يبتسم بعد أن أعاد السماعة إلى مكانها :

ـ ماذا كنت أقول لك ؟ ها هو ذا أحدهم وقد جاء لمقابلتى .

ـ تقصد القاقازيين ؟

ـ نعم .. لقد أخبرتنى (سولين) أنه جاء إلى المصحة بطريقة مفاجئة وأصر على أن يلتقى بى .

وماذا ستفعل ؟

ـ سأقابله بالتأكيد .. هل لديك اقتراح آخر ؟

ـ أعنى ما الذى ستقوله له ؟

قال (تاكد) :

ـ ما اتفقنا عليه .

وبعد قليل حضر الرجل إلى الفيلا الخاصة بـ (تاكد)

بعد انصراف (جاك) حيث استقبله فى الردهة الخارجية .

قال الرجل وهو متجهم الوجه :

ـ ما هذا الذى فعلته يا (تاكد) ؟

قال (تاكد) بهدوء :

ـ ما كان يتعين علىّ أن أفعله منذ فترة طويلة يا عزيزى (جوشو) .

قال الرجل بحدة :

ـ لكن (جوجول) غاضب للغاية منك .. وقد أرسلنى لأحذرك من مغبة ما أقدمت عليه ..

ـ لن يجدى التحذير شيئًا يا عزيزى .. لقد انتهى الأمر ، وأصبح هذا المشروع ملكًا خالصًا لى .

ـ لكننا نحن الذين ساعدناك على إقامته .

ـ ورفضتم الاستمرار فى مساندتى حتى النهاية .

قال (جوشو) :

ـ لأنك لم تحقق لنا نتائج حاسمة .

ـ ستسمعون يومًا عن النتائج المبهرة التى سأحققها.. وعند ذلك ستكتشفون حجم الخسارة الفادحة التى خسرتموها .

قال ضابط المخابرات القاقازى :

ـ نحن لا نريد أية نتائج .. بل نريد أن نسترد الأموال التى دفعناها إليك .. ونريد عودتك إلى قاقازيا .

- لقد قدمت لكم خدمات توازى المبالغ التى دفعتموها.. أما بالنسبة لى فقد قررت عدم العودة إلى (قاقازيا) .. أبدًا ...

قال (جوشو) :

- إنك تلعب بالنار يا (تاكد) .. فنحن لن نسمح لك بأن تتعامل معنا على هذا النحو .

- النار ستحرقكم أنتم لو حاولتم اعتراض طريقى .. فأنا أستطيع أن أكشف للعالم بأسره الكثير عن التجارب والأبحاث التى تحتضنونها وتقومون بتمويلها ، ومن بينها التجارب التى أنشئ من أجلها هذا المستشفى ..

- أنصحك أن تعيد النظر فى قرارك هذا قبل فوات الأوان .

- أما أنا فأنصحك أن تسارع بمغادرة هذا المكان الآن ، قبل أن أفقد أعصابى .. وأتصرف على نحو قد لايرضيك .

نهض الرجل واقفًا وهو يحدق فى (تاكد) بنظرت نارية .. ثم غادر المكان ..

* * *

لم يستطع (ممدوح) أن ينام .. فقد أخذ يتقلب فى الفراش محاولا استجداء النوم دون جدوى .

كانت هذه مشكلة تواجهه عند بداية كل مهمة جديدة يبدؤها ، من أثر تغيير المكان والمناخ .. بالإضافة إلى الأفكار التى تعتمل فى رأسه ..

ألقى نظرة إلى الثريا المدلاة من سقف الحجرة ، وهو ممدد فى الفراش .. كان بحاجة إلى مغادرة فراشه - مادام النوم لا يأتيه - والقيام بجولة سريعة حول المكان المحيط به لاستكشافه .

لكن كانت هناك مشكلة الكاميرا التليفزيونية التى تراقبه .

كان الظلام الذى يغمر المكان ، والملل الذى قد يصيب من يشاهده - وهذا محتوم على كل من يراقب رجلا نائمًا - عنصرين يعتمد عليهما فى المخاطرة التى قرر أن يخوضها لاستكشاف المكان .

غادر فراشه وبدل ثيابه دون إضاءة أنوار الحجرة .. ثم حاول فتح الباب .. لكنه وجده مغلقًا من الخارج .

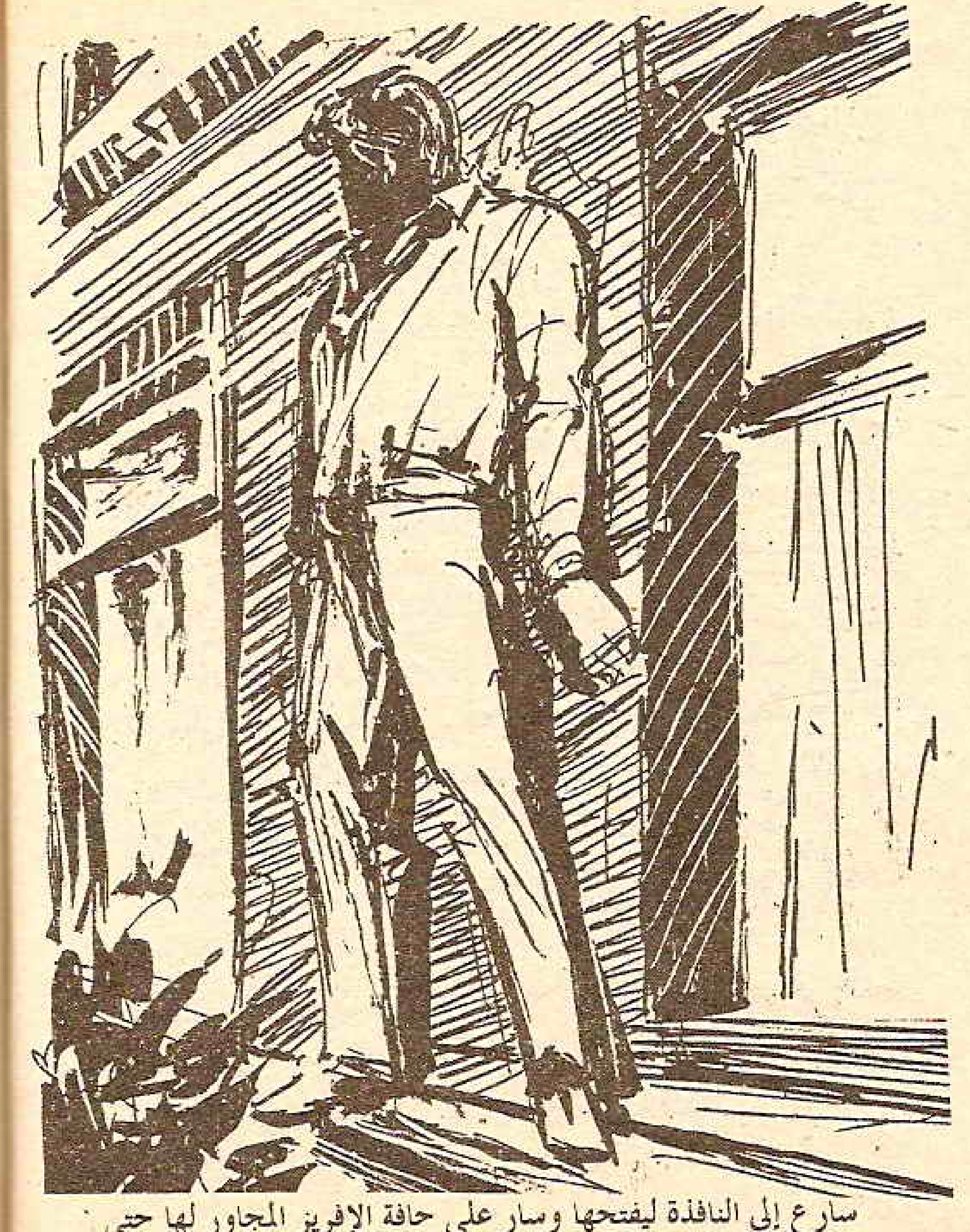
سارع إلى النافذة ليفتحها وسار على حافة الإفريز المجاور لها حتى وصل إلى نافذة أخرى مفتوحة .

وبخفة الفهد وثب (ممدوح) إلى الداخل دون إحداث صوت .

رأى (سولين) تتحدث مع الضابط القاقازى فى أحد الأركان ، فاحتمى وراء دولاب كبير بجوار النافذة يستمع إلى همسهما ، وكان ما قالاه مقلقًا ..

مقلقًا حتى بالنسبة لرجل من طراز (ممدوح) ..

* * *



سارع إلى النافذة ليفتحها وسار على حافة الإفريز المجاور لها حتى وصل إلى نافذة أخرى مفتوحة ..

٨ ـ الجاسوسة الحسناء ..

قال (جوشو) :

ـ لقد حكم هذا الرجل على نفسه بالموت .

ردت (سولين) وهى تتلفت حولها فى قلق :

ـ ما كان يتعين عليك أن تأتى إلى هنا .. لو رآك أحد أعوانه ..

ـ اطمئنى .. إنه يعرف أننى قد جئت لتوديعك قبل مغادرة المصحة.

ـ إن (تاكد) مصر على الاستمرار فى تجاربه حتى النهاية ..

قال (جوشو) :

ـ إنه مجنون .. وكان من الخطأ أن نسير وراء جنونه هذا منذ البداية ، لا جدال فى أنه طبيب بارع .. وأنه قام بمعجزات فى عالم الجراحة .. لكن أفكاره حول (الرجال الخارقين) كانت وهمًا منذ البداية .. وما حققه من نتائج فى عالم الطب هو التى جعلنا نصدق أنه يمكن أن يحقق هذا الوهم .

ـ ربما لو أتحنا له وقتًا كافيًا ..

قاطعها قائلاً :

ـ لقد حصل على الوقت الكافى بالفعل .. لكننا واثقين بأن هذا الرجل قد تحولت عبقريته إلى جنون حقيقى .. ولابد من إعادته إلى (قاقازيا) قبل أن يؤدى به هذا الجنون إلى الكشف عن دورنا بشأن تجاربه السرية وإفساد كل شىء .

قالت (سولين) :

ـ لكنه لن يرضخ لذلك بأى حال من الأحوال .

ـ فى هذه الحالة .. فالأوامر صريحة .. لابد من قتله .

قالت (سولين) باضطراب :

ـ قتله ؟!.

ـ نعم .. لقد أمر (جوجول) بذلك ..

قالت (سولين) :

ـ لكنه يحصن نفسه بمجموعة من رجال العصابات المدربين .

ـ لو كان يظن أن بضعة أفراد من رجال العصابات المسجلين يمكنهم أن يحموه من رجال المخابرات القاقازية ، فهذا دليل آخر على جنونه .

ـ لكن ألا ترى أنه من المؤسف أن نفقد رجلاً كهذا ؟

ـ إننى لا أقل عنك أسفًا لهذا الشأن .. لكن لا مناص من ذلك .. لقد تمرد (تاكد) على المخابرات القاقازية ، ولابد من قتله ..

قالت (سولين) :

ـ والتجارب ؟

ردّ (جوشو) :

ـ سيتم إلغاؤها .. أما بالنسبة للمصحة والمستشفى فسوف نبيعهما استيفاء للأموال التى قدمناها له .

ـ وماذا بشأنى ؟

قال (جوشو) :

ـ سوف تعودين إلى (قاقازيا) بعد أن تنتهى من أداء مهمتك هنا .

ـ وما المطلوب منى فى المرحلة القادمة ؟

ـ ستساعديننا فى تنفيذ القرار الذى توصلنا إليه بشأن (تاكد) .

قالت (سولين) باضطراب :

ـ أنا ..

ـ بالطبع .. فأنت ما زالت تعملين لحسابنا .. أم نسيت ذلك ؟

ـ لكن دورى كان يقتصر على نقل المعلومات المطلوبة

عن (تاكد) .. وليس المساعدة فى قتله .

قال (جوشو) :

ـ دورك هو أن تنفذى كل ما نطلبه منك من أعمال ، باعتبارك ضابطة فى المخابرات القاقازية .. لقد نجحت فى إخفاء هذا الدور حتى الآن وإلا لاقتلعك (تاكد) كما اقتلع الآخرين ..

وفى تلك اللحظة سمع (ممدوح) صوت طرقات على باب الحجرة .. ولاحظ الاضطراب الشديد الذى بدا على كل من (سولين) و(جوشو) .

همس (جوشو) :

ـ هل تنتظرين أحدًا ؟

أجابته بارتباك :

ـ كلا .. من الأفضل أن تختفى الآن عن الأنظار .

ـ أين أذهب ؟

سارعت بفتح باب جانبى قائلة :

ـ ستجد سلمًا خلفيًا وراء هذا الباب يقودك إلى الكراج .

واندفعت لفتح الباب بعد أن غادر (جوشو) المكان .

كان هناك من يقف على الباب ليسألها :

ـ إن الصحفى اللبنانى غير موجود فى حجرته ..

قالت بدهشة :

ـ كيف ؟.

ـ لا أدرى .. لقد ظننا أنك تعرفين مكانه .

وفى تلك اللحظة عاد (ممدوح) ليتسلق حافة النافذة عائدًا إلى غرفته .. وهو يسير على حافة الإفريز الضيق المجاور لها .

صاحت (سولين) :

ـ لكن باب الحجرة كان موصدًا من الخارج ..

قال الرجل :

ـ وقد وجدناه كذلك ..

سألته بقلق :

ـ هل أخبرتم الدكتور (تاكد) بالأمر ؟

ـ لقد جئنا إليك أولاً .

أخذت تتلفت حولها فى حيرة ..

ـ أين يمكن أن يكون قد ذهب ؟

ونظرت إلى النافذة المفتوحة قائلة بلهجة تنم عن عدم تصديقها :

ـ عبر النافذة .. أيمكن أن يكون قد غادر حجرته عبر النافذة ؟

وفى أثناء ذلك كان (ممدوح) يحاول أن يقفز داخل

الحجرة من خلال النافذة .. لكنه فوجئ بها مغلقة !.

وجد نفسه فى موقف عصيب .. ماذا عساه فاعل إزاء هذا المأزق ؟..

لقد كان موقنًا أنه ترك النافذة مفتوحة خلفه .. فهل قام أحدهم بغلقها فى أثناء تفتيشهم الحجرة ؟

لم يعد هذا هو السؤال الهام الآن .

المهم هو ماذا يفعل لمواجهة ذلك المأزق ؟

أيبقى ساكنًا فى مكانه مرتكزًا بقدميه فوق ذلك الإفريز الضيق ، حتى يكتشفوا أمره ؟

أم يعود من حيث أتى إلى حجرة (سولين) ؟

أو يحاول البحث عن وسيلة لمعالجة زجاج النافذة ، للعودة إلى داخل الحجرة ؟

وبينما فى حيرته فتح زجاج النافذة فجأة .. وامتدت يد غليظة لتقبض على إحدى قدميه بقوة ، على نحو كاد معه أن يختل توازنه ، وسمع صوتًا يقول بخشونة ، وبلهجة متهكمة :

- إن وقوفك هنا يعرضك للخطر يا مستر (وليد) .

نظر (ممدوح) ليرى محدثه .. فإذا به (جاك) .. وقد وقف يحدق فيه بعينين ناريتين دون أن يتخلى عن الإمساك بقدمه .

وبرغم برودة الجو ، إلا أن (ممدوح) أخذ يتصبب عرقًا .. فدفعة واحدة من يد الرجل كفيلة بأن تلقى به من أعلى .

اندفعت (سولين) إلى حجرة (ممدوح) فى هذه اللحظة وهى تصيح فى الرجل قائلة :

- (جاك) !.

نظر إليها مبتسمًا وقال :

- أين كنت يا عزيزتى ؟.. لماذ لم تهتمى كما يجب بضيفنا الذى يهوى السير على حافة النوافذ ؟

سألته بانزعاج :

- (جاك) .. ماذا تفعل ؟

أجابها بلهجة تهكمية دون أن يبعد يده عن (ممدوح) :

- لا تخشى شيئًا يا عزيزتى .. لقد كنت أنبهه فقط إلى خطورة السير على الإفريز بالنسبة للأطفال ..

وبدأ يبعد يده تدريجيًّا عن قدم (ممدوح) الذى تنفس الصعداء .

ثم وثب إلى الداخل قبل أن يقبض الرجل على قدمه مرة أخرى .. فما إن استقر (ممدوح) فى الداخل حتى وقف يجفف عرقه .

بينما قالت له (سولين) بلهجة صارمة :

ـ والآن يا مستر (وليد) .. هل تفسر لنا تصرفك العجيب هذا ؟

أجابها وقد استعاد رباطة جأشه :

ـ لم أشعر برغبة فى النوم ، وحاولت أن أغادر المكان لأسير فى الهواء الطلق قليلاً ، لكننى وجدتكم وقد أوصدتم الباب من الخارج وقد أشعرنى هذا كما لو كنت سجينًا لديكم .. دفعنى هذا للبحث عن وسيلة لمغادرة هذا المكان .. فلم أجد سوى هذه النافذة ..

ابتسم (جاك) فى سخرية :

ـ تفسير ساذج .. يا مستر (وليد) لتصرف غريب .

قال (ممدوح) :

ـ لست بحاجة لتقديم أية تفسيرات لك .. وما كان يتعين عليكم أن تعاملونى كما لو كنت سجينًا لديكم .

ـ لا أعتقد أن هذا سيرضى دكتور (تاكد) .

قال (ممودح) :

ـ إذا كان دكتور (تاكد) يرضى أن أوضع فى غرفة يوصد علىَّ بابها من الخارج ، فلست مستعدًا للاستمرار فى الإقامة هنا بعد هذه الليلة .

قالت (سولين) :

ـ لقد فعلنا هذا لحمايتك يا مستر (وليد) .

قال (ممدوح) مستفسرًا :

ـ حمايتى من أى شىء ؟

ـ نحن نعرف فضول الصحفيين .. وربما دفعك اهتمامك الصحفى إلى التنقل بين جنبات المكان ، على نحو يعرضك للخطر من جانب الأشخاص القائمين على الحراسة هنا .

قال (ممدوح) :

ـ لكن لدىَّ تصريح من دكتور (تاكد) بالتنقل فى أرجاء المكان بالفعل ..

ـ فى أثناء النهار وبرفقة شخص مسئول .

قال (جاك) بنفس اللهجة الخشنة التى حدثه بها من قبل :

ـ كان يمكن لك أن تلقى حتفك وتحملنا مسئولة ذلك بتصرفك الطائش هذا .

قالت (سولين) :

ـ حسن يا (جاك) .. أعتقد أنه يمكننى تسوية الأمر مع مستر (وليد) .

قال (جاك) وهو يحدج (ممدوح) بنظرة تعبر عن ارتيابه :

ـ كما تريدين يا عزيزتى (سولين) .. لكنى أعتقد أن دكتور (تاكد) لن يرضى بمثل هذه التصرفات الطائشة مرة أخرى ..

بعد انصراف (جاك) تحولت إليه قائلة :
ـ لماذا فعلت ذلك يا مستر (وليد) ؟
ابتسم (ممدوح) وقال :
ـ لقد أخبرتك بالسبب ..
ـ أنا أيضًا لست ساذجة لكى أقتنع بما قلته .
قال (ممدوح) :
ـ أتريدين أن تعرفى السبب الحقيقى وراء تصرفى هذا ؟
قالت (سولين) :
ـ بالطبع ..
جذبها (ممدوح) من يدها فجأة قائلاً :
ـ حسن .. تعالى معى .
قالت له وقد فاجأها تصرفه :
ـ إلى أين ؟.
لكنه لم يجبها ، بل دفع بها إلى الحمام .. وأغلق بابه وراءهما ثم فتح الدش ليحدث صوتًا عاليًا وقال رافعًا صوته :
ـ أعتقد أننى لا أستطيع أن أتحدث معك إلا هنا .
صاحت قائلة :
ـ لماذا ؟ ما سر تصرفك الغريب هذا ؟
ـ لأن بالحجرة جهازًا للتصنت وكاميرا تليفزيونية

تنقل صورتنا إلى بعض المتطفلين .
نظرت إليه (سولين) بدهشة قائلة بعد برهة من الصمت :
ـ من أنت يا مستر (وليد) ؟
حدجها (ممدوح) بنظرة باردة وقال :
ـ ومن أنت يامسز (سولين) ؟
ـ ماذا تعنى ؟
قال (ممدوح) :
ـ إن سؤالى واضح .
ـ إننى سكرتيرة دكتور (تاكد) وأنت تعلم ذلك .
ابتسم (ممدوح) قائلاً فى سخرية :
ـ سكرتيرة له أم جاسوسة عليه ؟
ارتبكت قليلاً .. لكنها حاولت إخفاء ارتباكها ، وهى تصيح بانفعال :
ـ كيف تجرؤ على أن ..
لكنه قاطعها وهو يقبض على معصمها قائلاً :
ـ لا داعى للإنكار يا مسز (سولين) .. إننى أعرف سرك .. وأعرف أنك عميلة للمخابرات القاقازية .
تراجعت إلى الوراء خطوتين ، وهى تنظر له فى ذهول .



وانتهزت فرصة أن أعطاها ظهره لتنقض عليه من الخلف وهى تهم بدفع الحد المدبب للمبرد فى عنقه ..

ثم قالت له وهى على وشك الانهيار :

ـ لقد تسللت إلى حجرتى عن طريق النافذة .. أليس كذلك ؟

قال (ممدوح) :

ـ وعلمت كل شيء .

صمتت برهة .. قبل أن تقول :

ـ وماذا تنوى أن تفعل ؟

ـ ما رأيك أنت ؟ أعتقد أن دكتور (تاكد) سيندهش عندما يعلم بحقيقة سكرتيرته المخلصة .

قالت له بصوت خافت :

ـ هل تسمح لى بكوب من الماء ؟

ـ بالطبع .

وتناول كوبًا بلاستيكيًا صغيرًا بالقرب من الحوض ليملأه لها من الصنبور .. لكنها فى هذه اللحظة كانت قد استلت مبرد أظفار حاد الأطراف ومدببًا من بين خصلات شعرها ..

وانتهزت فرصة أن أعطاها ظهره لتنقض عليه من الخلف وهى تهم بدفع الحد المدبب للمبرد فى عنقه .. ثم ....

* * *

٩ ـ المختبر الســـرى ..

لمح (ممدوح) المرأة وهى تنقض عليه فى المرآة ، فانحنى سريعًا ليجعلها تحيد عن الهدف .

ثم عاجلها بإلقاء الماء فى الكوب البلاستيكى على وجهها .. وانقض عليها بدوره ليلوى ذراعها خلف ظهرها بقوة .. وانتزع مبرد الأظفار من يدها ..

وحرك حد المبرد على وجنتها بخفة قائلا :

ـ من الأفضل أن تستخدمى هذا فى تجميل أظفارك ياعزيزتى بدلا من تلك الألعاب الخطرة .

ثم دسه فى شعرها مرة أخرى.. وهو يحرر ذراعها.. قائلا :

ـ من حسن حظك أنك لم تقعى بين أيد شريرة ، فقد كان من الممكن أن تجدى وجهك الجميل مشوهًا الآن بهذا المبرد .

لكن تأكدى أننى لن أتردد فى خنقك لو حاولت استخدامه مرة أخرى ..

قالت له وقد اعتراها الخوف :

ـ أرجوك لا تخبر دكتور (تاكد) عن حقيقتى ، فهو لن يتردد فى قتلى .. بل ربما تعرضت على يديه لما هو أبشع من القتل .

قال (ممدوح) :

ـ هذا يتوقف على درجة تعاونك معى .

ـ سأفعل ما تريد .

قال (ممدوح) :

ـ أولا .. ماهى علاقة دكتور (تاكد) بالمخابرات القاقازية ؟

ـ كان فى البداية يعمل لحسابهم ، وهم الذين ساعدوه فى إقامة هذه المصحة والمستشفى .

ـ لإقامة تجارب سرية بعيدًا عن الأعين فى هذا المكان .. تحت ستار مصحة علاجية منعزلة لشفاء الأمراض المستعصية .. أليس كذلك ؟

ـ بلى ..

قال (ممدوح) :

ـ وماهى نوعية هذه التجارب ؟

ـ إن (تاكد) ينتقى بعض عناصر من مرضاه وينقلهم إلى مختبر سرى أقامه داخل المصحة .. ثم يقوم بحقنهم ببعض المواد الكيميائية والخلايا الحيوانية . وتعريضهم لمصادر إشعاعية ، بغرض تحويلهم إلى رجال مبرمجين خارقين للعادة ، من ناحية القوى الجسدية والذهنية .. وقد أطلق على مشروعه هذا (مشروع الرجل السوبر) ..

نظر إليها (ممدوح) بدهشة قائلاً :

ـ تقصدين رجالاً أشبه بالرجال الآليين يتمتعون بقوى غير عادية ..

ـ نعم .. لقد نجح دكتور (تاكد) منذ فترة فى ابتكار دواء مكون من خلايا حيوانية ، تمت معالجتها بوسائل إشعاعية بالإضافة لبعض المركبات الكيميائية .. وبرغم أن المواد الكيميائية المستخدمة ، بالإضافة للمعالجة الإشعاعية ، من النوع المحرم دوليًا ، كما أن هذا المركب فى حد ذاته لم يخضع لتجارب معملية دقيقة قبل استخدامه ، إلا أنه نجح نجاحًا مذهلاً فى علاج الأورام السرطانية ، وبعض الأمراض المستعصية الأخرى .

بل أكثر من ذلك فقد لاحظ دكتور (تاكد) أن استخدامه للعناصر الثلاثة (الكيميائية ـ الحيوانية ـ الإشعاعية) التى يتكون منها هذا العلاج على حيوانات التجارب ، وبعض الأشخاص ، يضفى قوة غير عادية وذكاءً متقدمًا لفترة زمنية لا تتجاوز دقائق معدودة .. ومن هنا نشأت فكرته التى عرضها على المسئولين فى الدولة باستخدام هذا المركب بعد تطويره ، لبرمجة أشخاص خارقى القوة ، على نحو يؤهلهم لتنفيذ أصعب المهام وأخطرها لحساب الدولة ، ووفقًا لتوجيهها .. ودلل على ذلك بالتجارب الأولية التى عرضها عليهم .

قال (ممدوح) :

ـ لذلك تبنوا مشروعه وأنشئوا له هذه المصحة ليمارس فيها أبحاثه وتجاربه .

ـ كانوا مدركين أن هذه التجارب غير إنسانية ، وسيرفضها المجتمع الدولى .. بل ربما تُدان الدولة القاقازية ، لو تبين أنها تقف وراء رعاية وتمويل هذه التجارب الخطيرة .

لذا رحبوا باقتراحه بأن تكون هذه المصحة بعيدة عن (قاقازيا) ، وأن يختفى دور المخابرات القاقازية تمامًا فى تمويل وتبنى هذا المشروع ، الذى يشرف عليه الدكتور (تاكد) .. حتى لو اكتشف أمره ينسب هذا الأمر إليه وحده ويتحمل مسئوليته .

وزيادة فى الحرص ، تقرر عدم قيامه بهذه التجارب على القاقازيين وحدهم ، وأن يتخذ من علاج المرضى الذين يفدون إلى المصحة من مختلف بلاد العالم ستارًا لاختيار بعضهم لإجراء هذه التجارب ..

قال (ممدوح) :

ـ هؤلاء إذن هم المرضى الذين اختفى بعضهم ، ومات البعض الآخر بلا أسباب محددة أو معروفة ، عدا المرضى الذى جاءوا للعلاج منه .

- تمامًا .. كان من السهل أن يُقال إن العلاج قد فشل ، بالنسبة لهؤلاء الأشخاص الذين جاءوا للشفاء من أمراض خطيرة تهدد حياتهم ، بينما فى الحقيقة أن السبب الرئيسى فى التعجيل بموتهم ، يرجع لجرعات المركب الكيميائي والإشعاعى الذى قدم لهم فى المختبر السرى للدكتور (تاكد) .. وأودى بحياتهم بعد أن حولهم إلى مسوخ بشرية .

استمع (ممدوح) إلى ما قالته وباشمئزاز قال :

- يا للبشاعة !.

- لقد فشلت العديد من التجارب التى أجراها (تاكد) .. ودفع هؤلاء الضحايا ثمنها .. لكنه مصرّ على مواصلة تجاربه .. وواثق من قدرته على النجاح فى النهاية .

وهو بالفعل عبقرى .. ويمكنه أن ينجح .. لكن المسئولين فى (قاقازيا) لا يريدون الاستمرار فى هذا الأمر حتى النهاية ، ورأوا أن يتوقف عند هذا الحد ..

- هل كان (فاخر عبد الحميد) أحد هؤلاء الضحايا الذين استغلهم (تاكد) فى تجاربه ؟

نظرت (سولين) إليه وهى تحاول أن تتذكر الاسم :

- هل تقصد ذلك السياسى المصرى ، الذى جاء منذ شهر للعلاج هنا ؟

- نعم .. إنه هو من أعنيه تمامًا .

قالت (سولين) :

- لقد تم نقله بالفعل إلى المختبر السرى .

- إذن فقد بدأ معه (تاكد) تجاربه اللعينة .

قالت (سولين) :

- إنه فى المراحل الأولى من التجارب .. هل يهمك أمره إلى هذا الحد ؟

لكن (ممدوح) تجاهل سؤالها وهو يقبض على ذراعيها قائلًا :

- أين يوجد ذلك المختبر السرى ؟

- لكنك لن تستطيع أن تذهب إليه بمفردك .

- إذن ستقودينني إليه .

قالت (سولين) :

- هذا مستحيل ؟

- لماذا ؟

- إن (تاكد) لا يسمح لأحد بالاقتراب من هذا المكان .. وأعوانه منتشرون فى كل مكان للحيلولة دون ذلك .

قال (ممدوح) :

- معك أنت .. ستفتح كل الأبواب .. فأنت سكرتيرته الخاصة وكاتمة أسراره ووجودك معى سيسهل الأمر .

- لو علم (تاكد) بذلك سيقتلنى .

ـ ولو علم أنك تتجسسين عليه لحساب المخابرات القاقازية .. وتخططين معهم للتخلص منه ، سيفعل بك ما هو أكثر من القتل.. أنت نفسك قلت ذلك .

إن كل ما أريده منك هو أن تيسرى لى الأمر ، لكى أنقذ زعيم الحزب السياسى من المصير البشع الذى ينتظره على يد ذلك الرجل .. فهذا هو الهدف الذى جئت من أجله .. ولو سهلت لى ذلك .. فأنا أضمن لك أنه لن يعلم أحد بشىء ..

قالت (سولين) :

ـ إنك واهم لو ظننت أنك تستطيع أن تفلت من يده .

قال (ممدوح) ساخرًا :

ـ أنت تبخسيننى قدرى يا عزيزتى .. لكن لماذا لا تمنحيننى فرصة للمحاولة ؟

ـ يتعين علينا أولاً أن نعود إلى الحجرة قبل أن يتساءلوا عن سر غيابنا .

* * *

فى تلك اللحظة كان (تاكد) فى مختبره السرى يجرى تجاربه على أحد ضحاياه ، ومعه اثنان من مساعديه .

كان الشخص الذى يجرى عليه تجاربه يرتجف من

شدة الانفعال ، وهو يرى (تاكد) يعد تلك الحقنة الكبيرة التى تحتوى على المادة الكيميائية ، التى اعتاد أن يحقنه بها ، والتى تسبب آلامًا فظيعة .

راح يردد فى هستيريا وجسده ينتفض :

ـ لا !.. لا !.. أرجوك يكفى هذا .. لا تحقننى بهذه المادة مرة أخرى .. أرجوك توقف عن فعل هذا بى ..

تحول إليه (تاكد) ليقول له بعينين جاحظتين :

ـ يتعين عليك أن تشكرنى بدلاً من هذا العويل الذى تردده .. فأنا أسعى لكى أمنحك قوة وذكاء عشرة رجال مجتمعين ..

قال الرجل وهو ينظر إلى الحقنة فى خوف :

ـ لا !.. لا أريد ذلك !.. أرجوك .. كل ما أريده أن تجعلنى أغادر هذا المكان .. سأدفع لك أى مبلغ تطلبه .. ولن أبوح بكلمة واحدة عما يحدث هنا .. لكن دعنى أغادر هذه المصحة ..

ـ ألم تأت إلى هنا من أجل الشفاء ؟ هأنذا قد منحتك الشفاء من مرضك العضال .. وسأمنحك ما هو أكثر من ذلك .

سأمنحك القوة والذكاء الذى يحلم بهما كل رجل فى هذا العالم ..

صاح الرجل وهو مستمر فى هستيريته :

ـ قلت لك لا أريد ذلك .. أنت مجنون .. وقد رأيت ما فعلته بزميلى السابق .. لقد قتلته .. وقد تبدلت ملامح وجهه فى الآونة الأخيرة بطريقة مرعبة .. لقد حولته إلى مسخ بشرى ، قبل أن تقضى عليه تجاربك اللعينة .

ـ لقد جاء إلى هذا المكان وهو فاقد الأمل فى الحياة على كل حال .. وساعدته على الشفاء ..

قال الرجل وهو يرتعد :

ـ ساعدته على الشفاء .. لكى تقتله فى النهاية بهذه الطريقة المريعة .. لو كان مقدرًا لى الموت .. فإننى أفضل ألا أموت بوساطة هذه التجارب الملعونة التى تجريها .. ولا أريد أن أتحول إلى مخلوق بشع على يديك ، حتى لو أنقذنى ذلك من الموت .. وحتى لو حصلت على هذه القوة الخارقة التى تتحدث عنها ..

قال (تاكد) :

ـ اطمئن يا مستر (نورمان) ، لقد أدخلت تعديلات جديدة على المركب الكيميائى الذى أستخدمه .. ولسوف تؤدى إلى تلافى أية أخطاء سابقة .

صاح الرجل بيأس :

ـ أرجوك .. أتوسل إليك .. توقف عن هذا الذى تفعله بى ؟

نظر إليه (تاكد) قائلاً بقسوة :

ـ لقد عاملتك بلطف أكثر مما يجب .. لابد أن تعرف أنه لم يعد هناك مجال للتراجع ، بعد أن قطعت معك هذا الشوط .

ثم أشار بإيماءة من رأسه إلى مساعديه .. فأمسكوا بالرجل ليجلسوه على أحد المقاعد عنوة .. حيث ثبتوا قدميه ورسغيه بقيود معدنية مثبتة فى ذراعى وساقى المقعد لتشل حركته تمامًا .

بينما تقدم (تاكد) نحوه حاملاً المحقن فى يده .

راح الرجل يصرخ فى هستيرها :

ـ لا .. لا .. أرجوك توقف عن هذا !.

لكن (تاكد) لم يستجب له .. دفع بسن المحقن فى ذراعه ، دون أن يعبأ بصراخه وتوسلاته .

أطلق الرجل صرخة مدوية على إثر ذلك .. ثم مالبث أن بدأ جسده ينتفض بشدة .

وتهاوت رأسه فوق صدره وقد أصبح فى غيبوبة كاملة .

نظر (تاكد) إلى ساعته حتى مرت ثلاث دقائق .. ثم تحول إلى مساعديه قائلاً :

ـ انقلوه الآن إلى الصندوق الإشعاعى .

* * *

١٠ ـ ضحايا الشيطان ..

نقل مساعدو (تاكد) الرجل وهو فاقد الوعى إلى صندوق زجاجى كبير فى أحد أركان المختبر .. حيث جعلوه يتمدد على ظهره بداخله .. ثم أغلقوا عليه الصندوق ..

وضغط (تاكد) على عدد من الأزرار فى جهاز مثبت أمامه ، يتصل بعدد من المضخات فى فتحات داخل الصندوق .

اندفعت على الأثر موجات إشعاعية خضراء وصفراء إلى داخل الصندوق الزجاجى ، لتغمر الرجل الذى عاد جسده ينتفض برغم فقدانه للوعى ..

وأخذ (تاكد) يراقب ما يراه بدقة ، فى حين انشغل مساعدوه بتتبع مؤشرات أمامهم تشير إلى الانفعالات النفسية والعصبية التى تطرأ على مخ الرجل .. وكذلك تتبع دقات القلب على جهاز رسم القلب الموضوع أمامهم .. والذى أخذ يشير إلى تزايد هذه الدقات على نحو غير عادى .. كما لو كان الرجل يخوض سباق (ماراثون) .

تنقل (تاكد) بين الأجهزة التى يتابعها مساعدوه ، ليسجل ملاحظاته ، ويدوّن النتائج التى يراها أمامه ، فى سجل خاص يحمله فى يده ..

ثم يعود ليلقى نظرة على الرجل داخل الصندوق ، وهو يراقب انفعالاته بدقة .

فى تلك اللحظة أضيئت لمبة حمراء ، وانطلقت إشارات متقطعة داخل الحجرة .

مالبث أن فتح الباب ليدخل منه (جاك) .. الذى توجه نحو (تاكد) قائلاً :

ـ دكتور (تاكد) .. يجب أن أتحدث إليك فى أمر هام .

انفعل (تاكد) لأن (جاك) قطع عليه انشغاله فى متابعة نتائج تجربته الجديدة ، وفى حدة قال :

ـ ماذا تريد ؟ ما الذى أتى بك الآن ؟

قص عليه (جاك) ما حدث بالنسبة لـ (ممدوح) .. ومغادرته للحجرة من خلال النافذة ، ثم عودته إليها مرة أخرى .

بدا على (تاكد) الاهتمام وهو يستمع إلى ذلك .. ثم قال :

ـ لقد ارتبت فى هذا الرجل منذ البداية .. وأعتقد أنه



ثم يعود ليلقى نظرة على الرجل داخل الصندوق ، وهو يراقب انفعالاته بدقة ..

لم يأت من أجل تحقيق صحفى كما ادعى بأى حال من الأحوال .

ـ أظن أنه عميل جديد لـ (قاقازيا) .

ـ إنه لا يشبه القاقازيين فى شىء .

ـ ربما استأجروه لكى يعمل لحسابهم .

قال (تاكد) :

ـ على كل حال فهو يعرف الكثير .. لقد وضح ذلك من حديثه معى عن أولئك الأشخاص المفقودين ، وتلميحاته حول اختفائهم .

قال (جاك) :

ـ أعتقد أنه يتعين علينا أن نتخلص منه فى الحال .

ـ علينا أن نعرف أولاً.. أى قدر من المعلومات يعرفه عنا ؟ والهدف من حضوره إلى هنا ؟ ثم الأشخاص الذين يقفون وراءه ؟

ـ إنك لن تعدم الوسائل التى يمكنك بها أن تجبره على ذلك .

قال (تاكد) فى ثقة :

ـ بالطبع .. لكنى أفضل أن نراقبه أولاً ، قبل أن نلجأ للوسائل الأخرى .. يتعين عليك ألا تدعه يغيب عن عينيك أنت ورجالك .. ولو للحظة واحدة .

قال (جاك) :

- أعتقد أنه يتعين عليك أن تجعل (سولين) تبتعد عن هذا الأمر ، فأنا لا تعجبنى طريقتها فى معالجة الأمور.

* * *

قادت (سولين) (ممدوح) إلى المختبر السرى قائلة :

- هذا أقصى ما يمكننى أن أقودك إليه .. عليك أن تتولى الأمر بعد ذلك بمفردك .

سألها (ممدوح) :

- كيف يمكننى أن أعثر على (فاخر) ؟

- إنه فى إحدى حجرات الانتظار ..

سألها :

- وما هى حجرات الانتظار ؟

- إنها أشبه بزنزانات صغيرة ، يوضع بها الأشخاص الذين يتم إعدادهم لإجراء التجارب عليهم ..

قال (ممدوح) بغضب :

- تقصدين حيوانات التجارب التى يستخدمها (تاكد) ..

قالت (سولين) فى ضيق :

- نعم .

- وأين يمكننى أن أجد هذه الحجرة ؟

قالت (سولين) :

- إنها فى نهاية الممر المجاور للمعمل .. والآن يتعين علىَ أن أنصرف قبل أن يكتشف أحدهم غيابى .

- أشكرك على مساعدتك لى .

قالت (سولين) :

- ستكون بحاجة إلى الكثير من الحظ ؛ لكى تنجح فى مهمتك الجنونية هذه .

- أعتقد أن كلينا بحاجة إليه بعد تورطنا فى هذا الأمر .

وتقدم (ممدوح) داخل المختبر السرى ، فى حين انصرفت (سولين) عائدة من حيث أتت .

وقبل أن تخطو خطوتين مبتعدة عن صالة الألعاب الرياضية ، التى يختفى المختبر السرى بداخلها .. برز من وراء الجدار أحد الأشخاص ليعترض طريقها قائلاً فى غلظة :

- إلى أين يا عزيزتى ؟

ارتبكت (سولين) للحظة من وقع المفاجأة .. لكنها حاولت السيطرة على انفعالها قائلة :

- ما الذى تفعله هنا ؟

قال وهو يحدجها بنظرة ساخرة :

- أعتقد أننى من يسألك هذا السؤال ..

قالت له محاولة التظاهر بالصلابة :

ـ ليس من حقك أن تطرح علىّ الأسئلة .. ولو علم دكتور (تاكد) باعتراضك طريقى على هذا النحو ، فسوف ينسفك نسفًا .

قال لها مستمرًا فى السخرية :

ـ ما رأيك لو عرف دكتور (تاكد) أنك اصطحبت ذلك الصحفى إلى هنا ؟ لحظتها ترى من الذى سيتم نسفه ؟

وتبدلت ملامحه إلى القسوة ، وهو يخرج مسدسه ليصوبه إلى صدرها قائلاً بخشونة :

ـ من سوء حظك ، أننى كنت مكلفًا بمراقبة ذلك الصحفى لأكتشف خيانتك .

قالت متلعثمة :

ـ ما الذى تهذى به ؟

قال بحدة :

ـ تقدمى أمامى لينظر دكتور (تاكد) فى أمرك ، وترى من منا الذى يهذى ؟

لكن فى تلك اللحظة تلقى الرجل ضربة قوية على رأسه من الخلف ، جعلته يخر على الأرض فاقدًا الوعى .

صاحت (سولين) قائلة :

ـ (جوشو) !.. أنت لم تغادر دار المصحة بعد ؟

قال (جوشو) وهو ممسك بالمسدس الذى انهال بمؤخرته على رأس الرجل :

ـ من حسن حظك أننى لم أغادرها بعد ، وإلا كان هذا الرجل قد فضح أمرك .

لقد تتبعتك وأنت تسيرين بصحبة ذلك الرجل الآخر إلى صالة الألعاب الرياضية .. لكننى لم أكن أعرف أن المختبر السرى يختفى هنا .

ـ إن المختبر السرى يقع أسفل هذه الصالة الرياضية..

قال (جوشو) :

ـ لكن لماذا اصطحبت ذلك الرجل إلى هنا ؟ ومن يكون ؟

ـ أعتقد أنه عميل سرى لجهة ما .. وقد جاء إلى هنا للبحث عن أحد المرضى من رعايا دولته .. وقد اضطررت إلى كشف موقع المختبر السرى له ، بعد أن هددنى بكشف حقيقة أمرى لدى (تاكد) .

ـ لكن كيف عرف بدورك هنا ؟

قالت (سولين) :

ـ أعتقد أنه استمع إلينا ونحن نتحدث معًا بشأن القضاء على (تاكد) .

قال (جوشو) بقلق :

ـ إن هذا يعد أمرًا خطيرًا .

قالت (سولين) :

ـ نعم .. فما دامت هناك أطراف أخرى تعلم بحقيقة مايدور هنا .. فذلك ينذر بالكشف عن حقيقة الدور الذى لعبته مخابرات (قاقازيا) بشأن تجارب (تاكد) .. وقد يهدد هذا بفضحية عالمية ..

ـ هذا يعنى أنه يتعين علينا أن نتدخل سريعًا .

ـ نعم .. بأسرع ما يمكنكم .. لابد من القضاء على (تاكد) .. وعلى ذلك الشخص أيضًا .. وعلى كل من يمتّ لموضوع هذه التجارب السرية بصلة ..

ـ اسمعى يا (سولين) .. إننى لن أغادر هذه المصحة .. هناك مجموعة من رجال الكوماندوز القاقازيين على مقربة من هذا المكان ..

ابحثى لى عن مكان أختفى فيه مؤقتًا ، وسأجرى اتصالاً لاسلكيًا بهم فى الحال ، للحضور إلى هنا وإتمام مهمتهم ..

وسيكون دورك بعد ذلك هو أن تمكنيهم من اختراق الأبواب الإلكترونية ، للتسلل إلى المستشفى والمصحة .. ثم تعدين نفسك للعودة معنا بعد الانتهاء من أداء مهمتنا .

قالت (سولين) وهى تتلفت حولها :

ـ تعال معى .

لكنه استوقفها قائلاً :

ـ انتظرى !.

ثم صوب مسدسه المزود بكاتم للصوت ، نحو الرجل الفاقد الوعى ، وأطلق رصاصتين على رأسه .. فأرداه قتيلاً فى الحال ، والتفت إليها قائلاً :

ـ كان يتعين علينا أن نبدأ بهذا الرجل أولاً .

وفى تلك اللحظة كان (ممدوح) يسير عبر الممرات الممتدة داخل المختبر السرى ، بحثًا عن زعيم الحزب .

فجأة اعترضه شخص مسلح وهو يصوب إليه فوهة مدفعه الآلى قائلاً بخشونة :

ـ ألق بسلاحك وارفع يديك عاليًا ..

أطاعه (ممدوح) ملقيًا بمسدسه على الأرض وهو يرفع يديه عاليًا . قال الرجل :

ـ لا أدرى .. كيف جئت إلى هنا ؟ ومن تكون ؟ لكننى أظن أنه يتعين علىّ أن أقضى عليك فى الحال .

قال (ممدوح) :

ـ دون أن تخبر الدكتور (تاكد) ؟ أعتقد أنك قد تلقى لومًا عنيفًا على ذلك .. فربما يسعده تعرّفى .

بدا على الرجل التردد للحظة من جراء كلمات (ممدوح) .. ربما يتعين عليه بالفعل أن يتصل بالدكتور (تاكد) ..

لكن (ممدوح) استغل تردده وهو يشير إلى سماعة الهاتف خلفه قائلاً :

ـ إننى أرى سماعة الهاتف خلفك .. فإذا كان يمكنك من خلالها الاتصال بالدكتور (تاكد) أو الإبلاغ عن وجودى ، فأنا أظن أنه من الأفضل بالنسبة لك أن تفعل ذلك .. ولن يكلفك الأمر شيئًا .. قل له فقط إن مستر (ممدوح) يود التحدث إليك .

صاح الرجل بعصبية :

ـ قلت لك ارفع يدك عاليًا !.

ـ كما تريد .. لكننى أظن أن دكتور (تاكد) سيرغب فى الحديث إلىّ .

وتراجع الرجل خطوتين إلى الوراء محاولاً الاقتراب من سماعة الهاتف ، بينما عينا (ممدوح) ترقبانه بدقة .

وفى اللحظة التى لامست فيها يده سماعة الهاتف ركل (ممدوح) مسدسه فألقاه على الأرض بقوة أصابت ساق الرجل جعلته يتألم .

وقبل أن يضغط على زناد مدفعه ، كان قد وثب نحوه ليجعله يرتطم بالجدار فى قوة .

ثم وضع إحدى قدميه فى بطن غريمه وهو يركز على القدم الأخرى قابضًا على سلاحه بكلتا يديه ، لينتزعه منه بقوة ..

ونجح (ممدوح) فى اجتذاب المدفع من قبضتى غريمه ليضربه بمؤخرته ضربة قوية فى فكه أعقبها بضربة أشد قوة جعلته يفقد الوعى فى الحال ويهوى أرضًا .

لقد بدأت المعركة .. ومن المؤكد أنها لن تكون سهلة ...

* * *



١١ ـ معركة الأشرار ..

وقبل أن يلتقط أنفاسه ، كان شخص آخر قد فاجأه من الخلف .. فبادر (ممدوح) بتسديد ضربة إلى وجهه ، قبل أن يبدأ فى استخدام سلاحه .

ثم أطاح بالسلاح من يده مصوبًا له لكمة قوية جعلته يرتطم بالجدار .. وصوب إليه (ممدوح) فوهة سلاحه قائلاً :

ـ تقدم أمامى لتقودنى إلى حجرات الانتظار .. وإياك أن تحاول المراوغة ، وإلا أطحت برأسك .

تقدمه الرجل إلى إحدى الحجرات المغلقة حيث توقف أمامها .. وقال :

ـ إنها تفتح إلكترونيًا .

ـ لابد أنك تعرف الشفرة المخصصة لفتحها .

أجابه الرجل :

ـ لا يعرفها أحد سوى الشخص المسئول عن حراسة هذه الحجرة .

سأله (ممدوح) :

ـ وأين هو هذا الشخص ؟.

ابتسم الرجل الواقف أمامه قائلاً :

ـ إنه خلفك تمامًا !.

وأحس (ممدوح) بفوهة مسدس تلتصق بظهره من الخلف ، وصوت غليظ يأمره :

ـ ألق بسلاحك أيها الوغد .. وارفع يديك عاليًا !.

قال (ممدوح) بثبات أعصاب :

ـ فى الحقيقة لقد مللت من توجيه هذا الأمر لى .. لذا فإننى غير مستعد للتخلى عن سلاحى هذه المرة .

قال ذلك وهو يدور على عقبيه فى دورة سريعة ، ليطلق رصاصة من مسدسه المزود بكاتم للصوت على يد غريمه ، جعلته يصرخ من الألم وهو يتخلى عن سلاحه ليسقط أرضًا ، وهمّ الآخر بإخراج مسدسه وتصويبه نحو (ممدوح) .. لكنه عاجله بإطلاق رصاصة أخرى أصابته فى مقتل .. وقال :

ـ لقد حذرتك من قبل ألا تقدم على أية تصرفات طائشة .

ثم استدار نحو الرجل المصاب ليطيح بسلاحه بعيدًا ، وهو يصوب فوهة مسدسه إلى رأسه قائلاً بلهجة صارمة:

ـ هأنتذا قد رأيت أننى لا أهزل .. لذا عليك أن تفتح هذه الغرفة فى الحال وتقودنى إلى الشخص المسجون بداخلها ، وإلا جعلتك تلحق بزميلك .

وإزاء هذه النبرة الصارمة والجدية المرتسمة على وجه (ممدوح) .. أطاع الرجل أوامره فى الحال .. وقام بفتح الحجرة بوساطة كارت ممغنط إلكترونى .

ووجد (ممدوح) شخصًا فى حالة يرثى لها ممددًا على الفراش بأحد أركان الحجرة ، وقد بدا منهك القوى .

نظر الرجل إلى زائريه بلا مبالاة .. فقال له (ممدوح) :

ـ أعد نفسك لمغادرة هذا المكان .

نظر إليه الرجل وهو مستمر فى لا مبالاته قائلاً :

ـ إلى أين ؟.

ـ سأساعدك على الهرب .

اهتم الرجل هذه المرة واعتدل فى فراشه قائلاً :

ـ حقًا ؟!.

ـ نعم ..

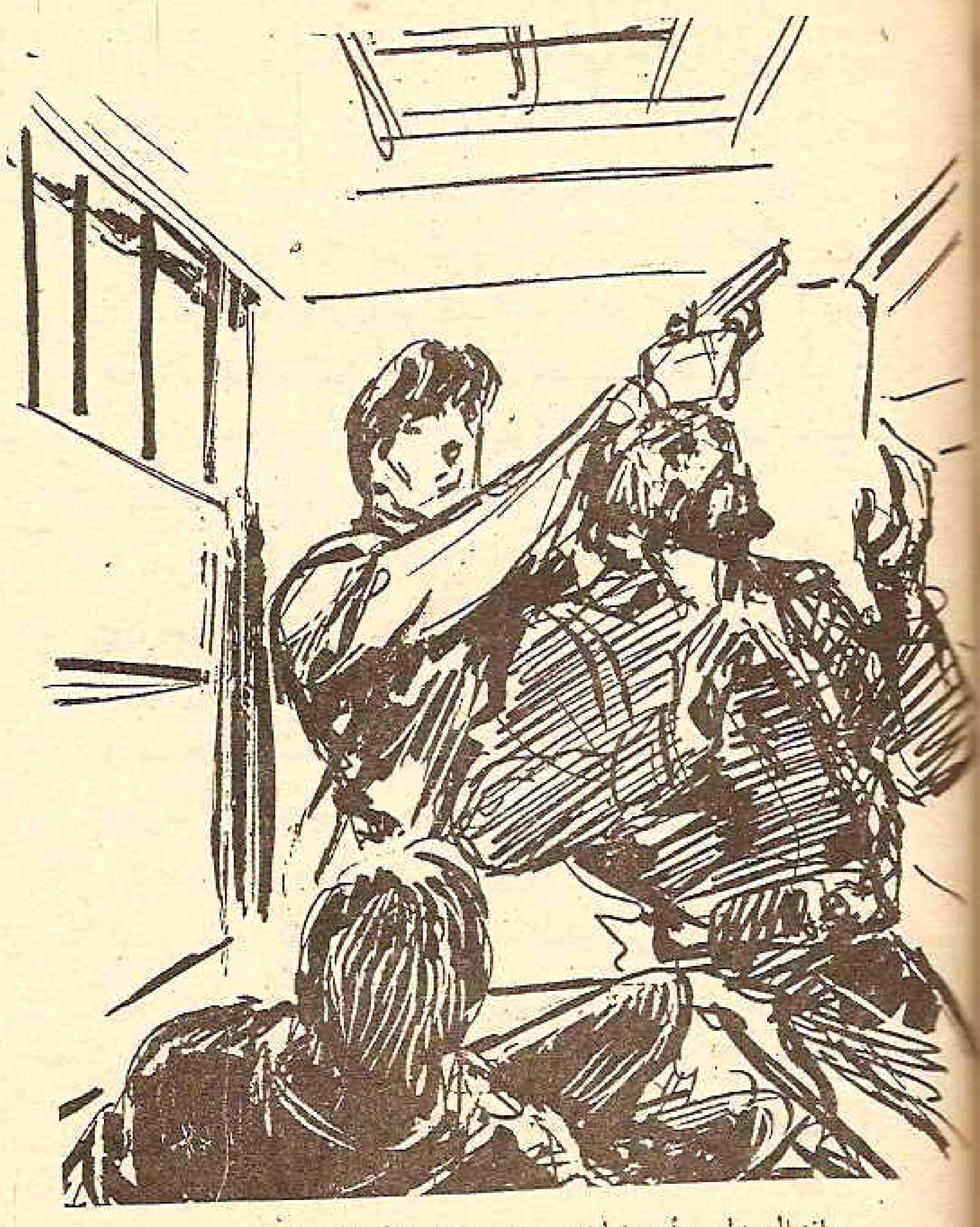
وانهال على رأس الحارس بضربة قوية أفقدته الوعى .. ثم قال لزعيم الحزب :

ـ هيا بنا .. دعنا لا نضيع الوقت ..

نهض (فاخر عبد الحميد) من فوق فراشه ، وهو لا يصدق نفسه ، وقد اعتراه نشاط مفاجئ برغم ضعفه .

اصطحبه (ممدوح) إلى الخارج بعد أن أغلق الحجرة على الحارس الفاقد الوعى .

* * *



وانهال على رأس الحارس بضربة قوية أفقدته الوعى ..

وفى تلك اللحظة كان الشخص الذى يجرى عليه (تاكد) تجاربه ، مازال راقدًا داخل الصندوق الزجاجى ، وقد بدأت تطرأ عليه تغيرات غريبة .

أخذ جسده ينتفض بشدة على فترات متقطعة .

وفى كل مرة ينتفض فيها على هذا النحو ، تتضخم عضلات جسده لتأخذ حجمًا أكبر مما كانت عليه من قبل .

بدأت عضلات وجهه تتقلص وتتمدد لتنتفخ كما لو كانت قد أصيبت بأورام شديدة .

أما عروقه فكانت نافرة وتنبض بقوة وسرعة غير عاديتين .

كان من الواضح أن الإشعاعات التى تعرض لها ، والمادة الكيميائية التى حقنه بها (تاكد) قد بدأت تترك آثارها على جسده ، وتغير من ملامحه .. وحينما كان (ممدوح) ورفيقه فى طريقهما للبحث عن مخرج عبر الممر الذى تقع حجرات الانتظار فى نهايته .. إذا به يجد جدارًا أمامه يسد الطريق .

هتف (ممدوح) قائلاً بدهشة :

ـ شىء غريب !.. لم يكن هذا الجدار قائمًا من قبل حينما أتيت إلى هنا !

تلفت رفيقه حوله فى قلق :

ـ أعتقد أن (تاكد) قد علم بأمر هروبنا .

قال (مدوح) وهو يستدير عائدًا من حيث أتى :

ـ دعنا نبحث عن مخرج آخر ..

لكن ما إن سار عدة خطوات ، حتى فوجئ بجدار آخر يعترض طريقه ..

قال (فاخر) بخوف :

ـ ألم أقل لك ؟ إنه يحاول أن يسجننا هنا ..

نظر (ممدوح) إلى الجدار القائم أمامه قائلاً :

ـ هذا أمر مستحيل !. من أين أتت هذه الجدران ؟ لوكان يتم تحريكها إلكترونيًا أو بوساطة بعض الآلات الهيدروليكية ، لسمعت صوت حركتها أو أحسست به ، لكن ..

وفكر برهة .. ثم هتف قائلاً :

ـ لكن ربما لم تكن موجودة حقيقة !.

نظر إليه زعيم المعارضة قائلا :

ـ غير موجودة .. كيف ؟

نظر (ممدوح) إلى الجدار الممتد أمامه قائلاً :

ـ نعم .. هذا هو التفسير الوحيد .. إن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد خداع بصرى .

لابد أنه يستخدم كاميرا تليفزيونية أو شيئًا من هذا القبيل ، لتوحى لنا بوجود هذا الجدار .. أو يحاول التأثير علينا مغناطيسيًا ، لكى نتوهم ذلك ..

قال (فاخر) :

ـ نعم .. إنه يجيد مثل هذه الأشياء .. وقد حاول أن يستخدمها معى حينما كان يجرى علىّ تجاربه ، بهدف إخضاعى لإرادته ، فيوحى لى بوجود أشياء غير حقيقية ..

ـ إذن ففيم الانتظار ؟ دعنا نتقدم إلى الأمام ونخترق هذا الجدار !

وأمسك (ممدوح) بيد رفيقه قائلاً له :

ـ أغمض عينيك وتقدم معى .

ومالبثا أن اخترقا الجدار الوهمى الذى يعترضهما دون أن يصيبهما أى أذى .. لقد كان حدسهما صائبًا ..

وما إن نجحا فى ذلك حتى هتف الرجل قائلاً :

ـ حقًا .. لقد نجحنا وتمكنّا من تجاوزه !

ـ لأنه لم يكن قائمًا أصلاً .

لكن ما إن وطأت أقدامهما خارج هذا الجدار الوهمى ، حتى وجدا (تاكد) وأعوانه واقفين فى استقبالهما على مسافة مترين منهما .

ابتسم (تاكد) قائلاً لـ (ممدوح) :

ـ لقد نجحت يا عزيزى فى إدراك حقيقة اللعبة .. لكنها ليست لعبتى الوحيدة التى أتسلى بها مع المتطفلين من أمثالك .

وقبل أن يجيب (ممدوح) بشىء وجد الأرض تحت قدميه تدور حول نفسها ببطء .

ثم مالبثت أن زادت سرعتها بطريقة قصوى ، على نحو لم يتمكن معه (ممدوح) ورفيقه من الوقوف على أقدامهما .. بدآ يشعران بميل للإغماء مع سرعة دوران الأرض .

كان آخر ما استقر فى وعى (ممدوح) قبل أن يستسلم لهذه الغيبوبة ، هى ابتسامة (تاكد) الشيطانية ، وصوته الساخر وهو يقول له :

ـ هذه المرة لا يوجد خداع بصرى يا صديقى .. فأنت ورفيقك تغيبان عن الوعى بالفعل .. بسبب تحكمى فى دوران هذا الجزء من الأرض تحت قدميك .. إلكترونيًا !

* * *

استرد (ممدوح) وعيه ليجد نفسه جالسًا فوق مقعد معدنى ، وقد قيدت يداه بقيد معدنى إلى ذراع المقعد على نحو يعجزه عن تحريكهما .

أما رأسه فكان محاطًا بخوذة بلاستيكية كبيرة ، وقد ظهرت من جانبها سماعتان مجاورتان لأذنيه ، على مسافة ثلاثة سنتيمترات منهما .

وأمامه رأى زعيم الحزب ، وكان مازال غائبًا عن الوعى داخل صندوق زجاجى مغلق ، وقد وقف (تاكد) وأعوانه حوله يتابعان تأثير الإشعاعات التى أطلقها (تاكد) داخل الصندوق ، بوساطة المضخات المتصلة به ، على الانفعالات الجسدية والعصبية للرجل .

هتف (ممدوح) قائلاً :

ـ ما الذى يجرى هنا ؟

التفت إليه (تاكد) ، وعلى وجهه تلك الابتسامة الساخرة قائلاً :

ـ ها هوذا صديقنا العزيز وقد استرد وعيه .

إنها فرصة طيبة لكى ترى الأسلوب الذى أتبعه فى تجاربى هنا .

صاح (ممدوح) قائلاً :

ـ ما الذى تفعلونه بالرجل ؟

قال له (تاكد) بهدوء :

ـ كما ترى .. إننى أعرضه لبعض الموجات الإشعاعية .. التى تتفاعل مع تأثير المركب الكيميائى الذى حقنت به جسده منذ قليل .

وبهذه الوسيلة أضيف قوة مضاعفة إلى خلاياه وإلى جهازه المناعى والعصبى .

هذه القوة التى نجحت فى استخدامها من قبل لمحاربة الفيروسات التى تهاجم هذه الخلايا .. وأسعى لاستخدامها لا من أجل تدمير هذه الفيروسات فقط .. ولكن أيضًا لإكساب الخلايا قوة مضاعفة .. تنعكس آثارها على التركيب العظمى والعضلى للجسد .. بالإضافة لتنشيط خلايا المخ .

إن ما أسعى إليه هو خلق نوع جديد من الرجال ، يتمتعون بقوى عضلية وذهنية خارقة للعادة ، تمكنهم من القيام بأصعب الأعمال .

وهو هدف نبيل كما ترى ، يستحق من أجله مواصلة هذه التجارب التى أثق بأنها ستنجح فى النهاية .

ـ ياله من هدف نبيل !. ذلك الذى تستخدم من أجله الأشخاص كحيوانات تجارب فى معملك السرى .. ليذهب العديد منهم ضحايا تجاربك الجنونية ، التى لا تخضع لأية ضوابط علمية أو أمنية ..

قال (تاكد) ساخرًا :

ـ إن الغاية تبرر الوسيلة يا صديقى ..

ـ أية غاية .. أن ترضى غرورك على حساب هؤلاء

المساكين ؟ أم تكسبهم هذه القوة الخارقة التى تدعيها لتسيطر على عقولهم فى النهاية ، وتوجههم لتحقيق أهدافك الشريرة ؟.. أو تساوم على الاتجار بهؤلاء الأشخاص لكل من يسعى إلى استخدامهم من أجل مآرب شخصية ؟.. وبعد أن تحولهم إلى مسوخ بشرية بلا إرادة .. وبلا سيطرة على هذه القوة الجنونية .

قال (تاكد) :

- لا مجال للعواطف فى العلم .. وأنا لم آت بك إلى هنا لتلقى على محاضرة أخلاقية ، أو أستمع إلى مواعظك السقيمة .

لقد كان يمكننى أن أقضى عليك فى الحال .. لكنى أريد أن أعرف أولاً من تكون ؟ ومن يقف وراءك ؟ وما الذى جئت لتفعله هنا ؟

- أظن أنك قد عرفت الآن الهدف الذى جئت من أجله إلى هنا .. فقد جئت لإنقاذ هذا الرجل من تجاربك الشريرة .

- هذه الإجابة لا تكفينى ..أريد أن أعرف من تكون ؟ ومن الذى أرسلك ؟

قال (ممدوح) ساخرًا :

- لقد سبق وتعارفنا من قبل .. وقد أرسلتنى

الإنسانية لأريحها من شرورك .

- يبدو أنك تسىء تقديرى يا عزيزى .. لذا فأنت بحاجة لشىء ينبهك إلى ذلك .

إن هذه الخوذة المحيطة برأسك تتصل بسماعتين من نوع خاص ، وعندما أضغط على هذا الزر أمامى ، فإنها تتحرك لتلتصق بأذنيك محدثة طنينًا قويًا لا يسمعه سواك .. لكنه كافى للتأثير على خلاياك العصبية ، على نحو لا يحتمل ، بحيث تشعر معه وكأن رأسك فى طريقه للانفجار .. اضطرب (ممدوح) وهو يسمع ذلك .. لكنه حاول أن يخفى اضطرابه متظاهرًا بالصلابة .

ضغط (تاكد) على الزر أمامه ، فتحركت السماعتان لتلتصقا بأذنى أسيره .. ومالبث أن أحس (ممدوح) بطنين قوى فى أذنيه .. أخذ يتزايد على نحو غير محتمل ، حتى أنه شعر بالفعل أن رأسه تكاد أن تنفجر .. فصرخ من شدة الألم ، وقد أخذ جسده ينتفض فوق المقعد ..

رفع (تاكد) يده عن الزر .. فابتعدت السماعتان عن أذنى (ممدوح) على النحو الذى كانتا عليه من قبل .

ابتسم (تاكد) وهو ينظر إلى (ممدوح) الذى تقلصت عضلات وجهه من شدة الألم قائلاً :

ـ ما رأيك يا عزيزى ؟ أعتقد أنه يتعين عليك الآن أن تكون أكثر تقديرًا لخصمك وتخبرنى بحقيقتك .

نعود لسؤالنا السابق .. أريد أن أعرف من تكون ولحساب أية جهة تعمل ؟

ـ اسمى (ممدوح عبد الوهاب) .. مقدم بإدارة العمليات الخاصة المصرية .. ومهمتى هى البحث عن (فاخر عبد الحميد) ، زعيم حزب النهضة ، والأسباب التى تكمن وراء اختفائه المفاجئ ..

ـ وكيف توصلت إلى معرفة مختبرى السرى ؟

ـ إن لى وسائلى الخاصة بهذا الشأن .

عاد (تاكد) ليضغط على الزر الموضوع أمامه ، لتلتصق السماعتان بأذنى (ممدوح) مرة أخرى محدثة هذا الطنين القوى .. وقال :

ـ وأنا أيضًا لى وسائلى الخاصة بشأن أمثالك .

وعاد (ممدوح) يصرخ من الآلام الفظيعة التى اجتاحت رأسه .

لكن فى تلك اللحظة دخل (جاك) ومعه أحد أعوانه وهو يصيح :

ـ دكتور (تاكد) !.. لقد اقتحم القاقازيون المصحة والمستشفى وهم يبحثون عنك فى كل مكان !

اهتز (تاكد) لدى سماعه هذا قائلاً :

ـ القاقازيون اقتحموا مصحتى ؟.. وأنتم ماذا تفعلون ؟ لماذا لم تتصدوا لهم ؟

أجابه (جاك) :

ـ إننا نتصدى لهم بالفعل .. لكنهم نجحوا فى التسلل إلى أماكن متفرقة من المصحة بمساعدة (سولين) .

نظر إليه (تاكد) بذهول وقد جحظت عيناه قائلاً :

ـ (سولين) ؟.. هل تعمل (سولين) لحسابهم ؟

ـ نعم .. لقد عرفنا ذلك أخيرًا ..

ارتسمت ملامح الغضب الشديد على وجهه وهو يقول :

ـ الخائنة !.. وأين هى الآن ؟

أجابه (جاك) قائلاً :

ـ لقد ألقينا القبض عليها ، ونحن فى انتظار أوامرك ..

ـ اقتلوها فى الحال !.

قال (جاك) :

ـ لقد جئت إليك لأساعدك على مغادرة هذا المكان الآن .. فهم يعلمون بمكان المختبر السرى ، ولابد أنهم فى طريقهم إلى هنا ، وهم يريدون أن يضعوا أيديهم عليك .

ـ يجب ألا تسمحوا لهم بالاقتراب من هذا المختبر بأى حال من الأحوال ..

قال (جاك) :

ـ لقد انتشر رجالنا بالفعل حول الصالة الرياضية للتصدى لأية محاولة للاقتراب من المكان ، لكنى وجدت أن من واجبى حمايتك أولا وإبعادك عن الخطر .

فكر (تاكد) برهة ثم قال :

ـ حسن .. هيا بنا .

وأردف قائلا لمساعديه :

ـ دعونا نغادر هذا المكان مؤقتًا .

ثم التفت قائلا لـ (ممدوح) :

ـ سأعود إليك مرة أخرى ، بعد أن أسوّى حسابى مع القاقازيين .. وسيكون لدىّ الكثير مما أقوله لك ..

* * *



١٢ - الصراع الرهيب ..

وفى تلك اللحظة كان جسد الرجل الذى وضعه (تاكد) داخل الصندوق الزجاجى ليجرى عليه تجاربه ينتفض بشدة ، وقد تضخم جسده بشكل ملحوظ ، وانتفخت عضلاته .

بينما تورم وجهه بشكل مخيف ، وتساقطت خصلات شعره .. وبدا جسده شديد الاحمرار .. فى حين برزت عروقه بشكل غير عادى ..

كان المخلوق الموجود داخل هذا الصندوق الزجاجى ، أشبه بوحش آدمى مخيف ..

وفجأة فتح عينيه وقد بدأ يسترد وعيه .. وأضفت عيناه البراقتان على مظهره مزيدًا من البشاعة ..

وبدا للحظة وكأنه عاجز عن فهم ما حدث له .. أو يدور حوله ..

حاول أن يتكلم فجاء صوته محشرجًا ، أشبه بحشرجة حيوان يتألم .

وما لبث أن انتابته نوبة عصبية ، فضرب غطاء الصندوق الزجاجى بكلتا يديه ليحطمه .. ثم غادر

الصندوق ، وهو يترنح فى سيره كما لو كان شخصًا مخمورًا .

ظل الرجل يدور حول نفسه ، وهو يتلفت حوله فى ذهول ، وقد أخذ يردد ذلك الصوت الغريب .

وفجأة وقعت عيناه على مرآة مثبتة على أحد جدران المعمل ، وها له ما رأى عليه نفسه .. والبشاعة التى أصبح عليها وجهه .. فازدادت عصبيته . واندفع فى ثورة شديدة يحطم كل شىء فى المعمل ..

وبرزت قوته الهائلة فى حمله للخزانات المعدنية بيديه لأعلى ، ثم الإطاحة بها أرضًا .. ، وانتزع الأحواض والطاولات الخشبية من مكانها ..

وبعد أن هدأت ثائرته قليلاً ، ترددت على لسانه كلمة واحدة مفهومة ، من بين تلك الكلمات المتحشرجة المحتبسة فى حلقه .. فقد أخذ يردد وملامح غضب مخيف تطل من عينيه :

ـ (تاكد) !..

* * *

وفى المعمل المجاور داخل المختبر السرى .. كان (ممدوح) يبذل قصارى جهده للتخلص من قيده بعد أن غادره (تاكد) ومساعدوه ..

لكن يديه المغلولتين حالتا بينه وبين قدرته على معالجة الأمر .

لم يكن أمامه سوى الاعتماد على قدميه اللتين غفل (تاكد) عن إحاطتهما بالقيود ..

راح يتحرك حاملاً المقعد المقيد إليه معه بخطوات بطيئة ، متجهًا نحو الصندوق الزجاجى الذى رقد (فاخر عبد الحميد) بداخله .

وجلس (ممدوح) على مسافة مناسبة أمام الصندوق.. ثم مد إحدى قدميه أمامه .. ليدفع بمقدمة حذائه طرف غطاء الصندوق إلى أعلى .. محاولاً فتحه ، لكنه أفلت منه وعاد لينغلق مرة أخرى .

عاود (ممدوح) المحاولة وهو يتصبب عرقًا ، رافعًا غطاء الصندوق إلى أعلى بمقدمة حذائه حتى نجح فى فتحه .

وظل (ممدوح) جالسًا أمام الصندوق ، آملاً فى أن يعيد الهواء الطبيعى إلى الرجل وعيه ، بعد أن تشبع الصندوق من الداخل بخليط من الإشعاعات التى أسهمت بتأثيرها على جهاز السجين العصبى ، فى استسلامه لحالة فقدان الوعى التى كان عليها ..

وبالفعل بعد دقيقة واحدة بدأ (فاخر) يتحرك .. ثم



عاود (ممدوح) المحاولة وهو يتصبب عرقًا ، رافعًا غطاء الصندوق إلى أعلى بمقدمة حذائه حتى نجح فى فتحه ..

فتح عينيه ، وقد أخذ يسترد وعيه تدريجيًا ..

قال بلهجة شاردة :

ـ أين أنا ؟. ما الذى يحدث هنا ؟

همس (ممدوح) قائلاً :

ـ ستتذكر كل شىء فيما بعد .. المهم الآن .. أن تسارع بمغادرة ذلك الصندوق .. وتحررنى من قيدى أولاً.

نهض الرجل ليساعد (ممدوح) فى التحرر من قيده المعدنى ..

وما إن تحرر (ممدوح) من قيده ، حتى قال لرفيقه وهو يصحبه نحو باب المعمل :

ـ من حسن حظنا أن (تاكد) وأعوانه منصرفون الآن لمعركتهم مع (القاقازيين) .. وعلينا أن ننتهز الفرصة للهرب من هذا المكان اللعين .. لكن قبل أن يقتربا من الباب ، انفتح فجأة ، وبرز من ورائه ثلاثة أشخاص مسلحين ، وعلى رأسهم ضابط المخابرات القاقازى (جوشو) ..

تراجع الرجلان إلى الوراء ، وقد صوب القاقازيون أسلحتهم نحوهما وهم يأمرونهما برفع أيديهما عاليًا .

وسألهما (جوشو) :

ـ أين ذهب (تاكد) ؟

أجابه (ممدوح) :

ـ هذا ما أتمنى أن أعرفه .

تلفت (جوشو) حوله .. ثم أصدر أوامره قائلاً :

ـ دمروا كل شيء في هذا المعمل !..

ثم أردف قائلاً وهو يشير إلى (ممدوح) :

ـ واقتلوا هذين الرجلين أيضًا ..

لكن قبل أن يبدأ أحدهم في إطلاق الرصاص ، دفع (ممدوح) رفيقه بقوة جانبًا ليلقى به أرضًا بجوار الطاولة الخشبية القريبة منهما .

ثم دفع الصندوق الزجاجي بقدمه في قوة نحوهم .. فاصطدم بأحدهم ، وهوى فوقه متهشمًا .

وانطلقت الرصاصات في اتجاهه .. في اللحظة التي وثب فيها خلف الطاولة الخشبية ليحتمي بها .. وليبادلهم إطلاق الرصاص ..

وبرغم الطلقات التي تطايرت فوق رأسه ، إلا أنه نجح في إصابة أحدهم ، بينما اندفع الآخر محاولاً القفز فوق الطاولة الخشبية ، التي يحتمي (ممدوح) ورفيقه بها ، وهو يطلق وابلاً من الطلقات لتغطيته ..

لكن في اللحظة التي قفز فيها فوق الطاولة الخشبية ، استقبلته يدا (ممدوح) .. ليقذف به نحو دولاب زجاجي يقع خلفه ، يحتوي على بعض العقاقير والمواد الكيميائية .

وتهشم الدولاب الزجاجي وهو يهوى مع الرجل أرضًا ، وتطايرت شظاياه .

صوب (جوشو) مسدسه في اتجاه (ممدوح) محاولا إصابته .

لكن يدًا قوية أطبقت على معصمه ، وأجبرته على أن يتخلى عن المسدس وهو يصرخ من شدة الآلم ..

استدار خلفه وقد ارتسمت ملامح الذعر في عينيه .. فقد كانت اليد الفولاذية التي أطبقت على رسغه هي للمسخ الآدمي الذي أجرى عليه (تاكد) تجاربه .

أطبق الوحش الآدمي بكلتا يديه على ذراعي (جوشو) ، وهو يرفعه عاليًا كما لو كان يرفع طفلا صغيرًا ، مطلقًا صراخه الحيواني .. ثم ألقى به أرضًا في عنف ..

وحاول (جوشو) استرداد مسدسه الذي سقط منه أرضًا .. لكن المسخ الآدمي أطبق على عنقه بقوة .. ولم يتركه إلا جثة هامدة خلال ثوان معدودة .

ثم عاد إلى ثورته الجنونية ، وأخذ يحطم الأشياء حوله وهو يردد اسم : (تاكد) ..

ومالبث أن غادر المعمل .. وقد بدا أنه يبحث عن (تاكد) .. وأنه هدفه الحقيقي .

نظر (ممدوح) من وراء الطاولة الخشبية ، وهو لا يصدق عينيه .. ثم التفت إلى رفيقه قائلاً :

ـ هل شاهدت معى ذلك المسخ الآدمى ؟

أجابه (فاخر) :

ـ نعم .. إنه أحد ضحايا (تاكد) .. وكان يمكن أن أصبح مثله ، لو تعرضت لمزيد من تجاربه البشعة ، ولو لم تتدخل لإنقاذى .

ـ لقد فتك بذلك الرجل فى وحشية شديدة ، قبل أن أتمكن من فعل أى شىء لإنقاذه ..

قال (فاخر) :

ـ هذا ما كان سيصير عليه حالى لو استمر ذلك الرجل (تاكد) فى إجراء تجاربه الشريرة معى .

ـ دعنا نهرب من هنا فى الحال .

* * *

كانت حالة من الفوض والذعر تعم أرجاء المصحة ، من أثر الصراع الدائر بين رجال المخابرات القاقازية وأعوان (تاكد) .

وأخذ المرضى يتنقلون ما بين الحجرات والعنابر بحثًا عن ملجأ يختفون فيه من جراء تبادل إطلاق الرصاص .. فى حين قطعت جميع الأسلاك الهاتفية لتبقى المصحة بمعزل عن العالم الخارجى ..

لكن (ممدوح) استخدم جهاز اللاسلكى الدقيق فى ساعة يده ، للاتصال بالسفارة المصرية وإطلاعهم هناك على حقيقة الأمر .

وعلى الفور اتصلت السفارة المصرية ، بوزارة الأمن السويسرية .. التى اتصلت بدورها بوزارة الدفاع .. وتحركت طائرات حربية ، متجهة إلى المصحة ..

وبينما كان (ممدوح) فى طريقه للبحث عن ملجأ آمن يلجأ إليه هو ورفيقه ، اعترضه (جاك) وأحد أعوانه .

أطلق رصاصة فى اتجاه (ممدوح) الذى سارع بالاحتماء بأحد الجدران .. وأطلق رصاصتين أصابت إحداهما زميل (جاك) ، فى حين طاشت الأخرى : وأطلق (جاك) وابلاً من الطلقات فى اتجاه (ممدوح) الذى تفاداها .. ثم أطلق رصاصة أخرى فى اتجاهه .. لكنه وجد مسدسه فارغًا من الطلقات ..

وارتسمت ابتسامة الظفر على وجه (جاك) وهو يتقدم نحو (ممدوح) بثبات ، ليطلق عليه الرصاص عن قرب ، بعد أن تأكد من خلو مسدسه من الطلقات .. لكن (ممدوح) استل خنجرًا حادًا من بين طيات ثيابه .. وانتظر حتى اقترب منه (جاك) ، ثم برز له فجأة ملقيًا بالخنجر فى اتجاهه .

واستقر الخنجر فى صدر (جاك) الذى شهق بشدة .. وقد جحظت عيناه ، ثم هوى على الأرض صريعًا فى الحال ..

تناول (ممدوح) سلاحه وهو يشير لرفيقه ، مواصلاً طريقه خلال المعركة الدائرة .

وساعد (ممدوح) عددًا من المرضى ، فى الهرب من الصراع الدائر إلى ملجأ آمن .

لكن (تاكد) وأعوانه الذين بدأت المعركة تحسم لصالحهم ، تتبعوا الفارين إلى الملجأ الذى احتموا به .

ووجد (ممدوح) باب الملجأ يغلق عليهم ، وصوت (تاكد) يتردد فى جنبات المكان بوساطة سماعات داخلية فى الملجأ قائلاً :

ـ لقد وفرتم علىّ الجهد أيها الأعزاء ، بالتجائكم إلى هذا المكان .. فلم أعد بحاجة إليكم بعد الآن .. وأصبح يتعين علىّ أن ألجأ إلى مكان آخر لأبدأ من جديد فى مواصلة أبحاثى وتجاربى ، بعد أن افتضح أمر هذا المكان .. لذا لن أضطر إلى قتل كل منكم على حدة .. بل سأتخلص منكم دفعة واحدة .

وأدار (تاكد) عجلة أمامه ، فانفتحت أربع مضخات فى أعلى سقف الملجأ ، وانهارت منها المياه بشدة لتكتسح الملجأ .

ارتسمت ملامح الذعر والفزع على الوجوه ، وهم يرون المياه تتدفق داخل الملجأ لتغمرهم تمامًا .

بينما كان (تاكد) يستعد للهرب هو وأعوانه .. لكن ما إن تقدم اثنان من أعوانه نحو الباب ، حتى وجداه يتحطم أمامهما ، وقد هوى فوق أحدهما .. ليبرز من خلفه المسخ الآدمى العملاق ، وقد تقدم ليسير فوقه .

وارتسمت ملامح الفزع فوق وجه زميله .. الذى حمله العملاق بيد واحدة ، ليطيح به أرضًا محطمًا عظامه .

نظر (تاكد) مذعورًا إلى الوحش الذى صنعه بيده ، وقد هاله مارأى عليه ذلك المخلوق المخيف .

تناول مسدسه سريعًا ، بينما كان الوحش الآدمى يتقدم نحوه ، وقد أطلت من عينيه نظرة تنم عن الحقد والكراهية الشديدين .

وأطلق (تاكد) رصاصة على صدره ، لكنها لم تحدث به أثرًا كبيرًا ، فقد استمر فى التقدم نحوه غير عابئ بإصابته ، ولا بالدماء التى أخذت تسيل منه ..

حاول (تاكد) الهرب وقد اعترته حالة من الخوف الشديد .. لكن الوحش الآدمى أطبق عليه بكلتا يديه ، وهو يصرخ بصوته المتحشرج كحيوان جريح ، مرددًا

اسم (تاكد) ومطيحًا بالمسدس من يده .

وبدت هذه الكلمة التى تخرج من فمه بصعوبة مقترنة بكل معانى الحقد والكراهية ..

توسل إليه (تاكد) لكى يدعه يفر .. لكن المرارة التى كان يحملها ذلك المخلوق تجاهه جعلته لا يعبأ بتوسلاته .

وفى تلك اللحظة كان (ممدوح) يحاول أن يهدئ من روع رفاقه ، وهو يبحث عن مخرج من هذا المكان الذى اكتسحته المياه ، حتى غطت الجزء السفلى من أجسادهم ..

وتعلقت أنظاره بفتحة التهوية داخل الملجأ ..

كانت هى فرصته الوحيدة لمغادرة المكان ، والهرب من المصير المروع الذى ينتظره هو ومن معه .. لكن كيف الوصول إليها وهى مثبتة فى أعلى الجدار ؟

صاح (ممدوح) فيمن حوله :

ـ يجب أن تهدءوا جميعًا حتى يمكننا العثور على وسيلة لمغادرة هذا المكان !.

ثم استطرد قائلاً :

ـ من منكم أقوى بنيانًا ؟!

وأشار إلى أحدهم قائلاً :

ـ أنت تعال !.. اتبعونى جميعًا ..

وخاضوا فى المياه سائرين ، وقد تعلقوا بخيط واه من الأمل ، فى قدرة (ممدوح) على مساعدتهم فى الهرب من الخطر الهائل المحيط بهم ..

بينما سبقهم (ممدوح) سباحة متجهًا نحو الجدار الذى توجد به فتحة التهوية .

وطلب (ممدوح) من الرجل الضخم الطويل القامة ، أن يقف أسفل فتحة التهوية تمامًا .

ثم طلب من آخر أن يتعلق به ليقف فوق كتفيه ..

وبمساعدة الآخرين وقف شخص ثالث فوق كتفى زميله الثانى ..

وما لبث أن تمكن (ممدوح) بتعاون الآخرين من الوقوف فوق كتف الشخص الثالث ليبدوا كما لو كانوا يؤدون مشهدًا فى السيرك .

واستطاع (ممدوح) أن يصل إلى فتحة التهوية وهو يطلب من رفاقه أن يثبتوا ليتمكن من معالجة الشبكة المعدنية للفتحة ..

بينما ظلت المياه تتدفق داخل الملجأ حتى ارتفعت إلى صدورهم .

وتناول (ممدوح) آلة حادة كان يخفيها فى الحزام الجلدى الملتف حول خصره ، وأخذ يستخدمها فى معالجة المسامير المثبتة للشبكة المعدنية .. حتى تمكن من نزعها من مكانها ، ثم انتزع الشبكة المعدنية بعد جهد شاق ..

ووثب (ممدوح) داخل الفتحة المجوفة .. ثم أخذ يزحف داخل أسطوانة معدنية ، إلى أن توقف أمام شبكة معدنية أخرى تعترض طريقه .

وفى هذه المرة نزع ساعته من حول رسغه وهو يتأملها بأسف قائلاً :

ـ يالها من ساعة رائعة !.. لكن إزاء الظروف الحالية ، لابد من التضحية بها ..

وحل غطاءها الخلفى ثم غير من طريقة عملها ليضبط توقيتها على مفجر دقيق داخل الساعة ..

وهكذا تحولت إلى قنبلة موقوتة .

ثبتها (ممدوح) بين الإطار الخارجى للشبكة والإطار الداخلى لها .

ثم زحف مبتعدًا قليلاً وهو يسد أذنيه ويدير وجهه إلى الجهة الأخرى ..

وما لبثت أن انفجرت الساعة لتفجر معها إطار

الشبكة المعدنية وتنزعها من مكانها .

انتظر (ممدوح) لحظة حتى زالت آثار الانفجار ، ثم وثب من خلال الفتحة إلى المعمل المكيف الهواء .. الخاص بتجارب (تاكد) ..

وهاله ما رأى .. فقد وجد (تاكد) ملقى على الأرض وقد لقى مصرعه ، بعد أن حطم المسخ الآدمى عظامه ، وأصابه بجروح وكدمات متفرقة فى جسده .. لقد لقى (تاكد) جزاء شنيعًا ..

كان الوحش الآدمى مازال مستمرًا فى تحطيم كل ما يجده أمامه داخل المعمل ، وهو فى حالة ثورة شديدة .. وقد بدا أنه فاقد السيطرة على نفسه ، برغم الدماء الغزيرة التى كانت تتدفق منه ، من أثر الرصاصة التى أطلقها عليه (تاكد) .

وما إن رأى (ممدوح) حتى تحول إليه .. وقد أخذ يصدر تلك الأصوات الحيوانية غير المفهومة ..

ثم اندفع نحوه فى وحشية ليطبق على خصره بكلتا يديه ، وهو يرفعه عاليًا .. ليطيح به أرضًا ، محاولاً تحطيم عظامه كما فعل بـ (تاكد) .

وكانت الصدمة قوية على (ممدوح) .. وأحس بآلام شديد فى ظهره من أثر ارتطامه بالأرض .

لكنه تحامل على نفسه ، وهو يرى الوحش الآدمى يعاود مهاجمته ، وقد أطبق على عنقه بكلتا يديه محاولاً خنقه .

كان الرجل يملك قوة مضاعفة .. لذا أحس (ممدوح) كما لو أن حلقة معدنية قوية أطبقت على عنقه .. وتكاد أن تحطم قصبته الهوائية .. لم يكن يملك القوة الكافية لدفع هذا العملاق الوحشى عنه ..

فلم يجد سوى الآلة الحادة التى استخدمها فى فتح الشبكة المعدنية ، ليدفع بها إلى صدر غريمه المخيف .

أطلق العملاق صرخة مروعة ، وهو ينظر إلى تلك الآلة الحادة ، وقد نفذت فى صدره .

اضطره ذلك إلى أن يتخلى عن الاستمرار فى خنق (ممدوح) .. محاولاً أن ينزع الآلة الحادة من مكانها .

لكن يده ارتجفت بشدة ، وبد أنه فقد الكثير من دمائه التى زاد نزيفها ..

وما لبث أن غامت عيناه وارتخت يداه ، ثم هوى فوق (ممدوح) بلا حراك ..

وأراد (ممدوح) إزاحته من فوقه .. لكنه فتح عينيه مرة أخرى وأطلق صرخته الحيوانية المتحشرجة على نحو أفزع (ممدوح) .

لكن سرعان ما تبين له أن هذه كانت الصرخة الأخيرة قبل أن يفارق الحياة .

أزاحه (ممدوح) بعيدًا عنه .. ثم نهض سريعًا ، وهو يستأنف البحث داخل المعمل ، بحثًا عن مصدر تدفق المياه داخل الملجأ ..

وما لبث أن وقعت عيناه على العجلة التى تدفع بالمياه إلى المضخات ، فاندفع نحوها ، وأخذ يديرها فى الاتجاه المعاكس ، ليوقف تدفق المياه . وتمكن من وقف اندفاعها بالفعل ، فى اللحظة المناسبة ، بعد أن وصلت المياه إلى أعناق الأشخاص الموجودين داخل الملجأ ، وكادت تغطى رءوسهم ..

وفى ذات اللحظة كانت الطائرات التابعة لسلاح الجو السويسرى ، قد تمكنت من الوصول إلى موقع المصحة والمستشفى ، حيث ألقت برجال الكوماندوز التابعين للجيش السويسرى بوساطة الحبال داخل المصحة .. لينتشروا سريعًا بين أرجائها ..

وفى خلال ساعة واحدة ، تمكنوا من السيطرة على الموقف ، والقبض على من تبقى من القاقازيين ، ورجال العصابات الذين يعملون لحساب (تاكد) ..

أما (ممدوح) فقد أرشدهم إلى الملجأ الذى اختبأ

فيه المرضى وزعيم الحزب المصرى ، حيث ساعدوهم على الخروج من وسط المياه التى غمرتهم .

وشد قائد وحدة الكوماندوز على يد (ممدوح) مصافحًا وقال :

ـ لولا تدخلك واتصالك بالسفارة المصرية ، التى أخطرتنا بالأمر ، لما تمكنا من معرفة الأشياء الفظيعة التى تدور هنا .. ووضع نهاية لمستشفى الرعب الذى يديره (تاكد) وعصابته ..

ـ أرجو أن تجدوا مكانًا مناسبًا ، لإيواء وعلاج هؤلاء المرضى ، الذين كاد بعضهم أن يتحول إلى مسخ آدمى ، كذلك الرجل الذى وجدتموه فى المعمل .

قال القائد مطمئنًا :

ـ بالطبع .. لقد اتصلنا بالمسئولين وسيدبرون الأمر فى الحال .. هناك مصحة علاجية أخرى سينقلون إليها ، ومن بينهم زعيم الحزب المصرى المعارض .

لكن الرجل قال له معترضًا :

ـ كلا .. أفضل العودة إلى وطنى .. وهناك سأجد الرعاية الطبية اللازمة .

قال القائد باسمًا :

ـ نعم .. ولكن لابد من فحص الآثار التى خلفها

استخدام (تاكد) لتجاربه غير الإنسانية معك ، وتحديد مدى الأضرار التى ألحقتها بك .

قال زعيم الحزب :

ـ أفضل أن تتم تلك الفحوص فى بلادى ، وعلى أيدى الأطباء المصريين .. وحتى لو كان مقدرًا لى الموت ، فإننى أفضل أن أموت فوق تراب وطنى .

قال (ممدوح) مطمئنًا :

ـ لا أعتقد أن الأمور ستصل إلى هذا الحد . فقد نجحت فى الإفلات من بين أيدى ذلك الشيطان ، قبل أن يتمادى فى تجاربه اللعينة معك ..

قال القائد العسكرى :

ـ حسن .. لم يعد أمامنا إذن سوى أن ننقلكما إلى أقرب وحدة عسكرية ، ومن هناك سيتم نقلكما إلى العاصمة السويسرية.

وتحرك الجميع ليستقلوا الطائرة العسكرية ، بعد أن ألقى (ممدوح) نظرة أخيرة على ذلك المكان ، الذى كان يمكن أن يصبح جنة للمرضى والباحثين عن الأمل فى الشفاء .. لكنه تحول على يد (تاكد) .. إلى مستشفى للرعب .

* * *

[تمت بحمد الله]

المؤلف



أ . شريف شوق

مستشفى الرعب

أطبق عليه بكلتا يديه وهو يصرخ بصوته المتحشرج كحيوان جريح ، مرددًا اسم (تاكد) ، ومطيحًا بالمسدس من يده ، وقد أطلت نظرات مرعبة من عينيه .

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

73

العدد القادم كنز الفراعنة

الثمن فى مصر ١٢٥ ص وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم